الَّذِينَ أُوتُوا الحُبَّ

مجموعة قصصية

د. أسماء عايد

obeikandl.com

الكتاب: الَّذِينَ أُوتُوا الحُبَّ
المؤلف: د. أسماء عايد

الطبعة الأولى: أغسطس 2015
(مؤسسة روائع للطباعة والنشر)
الطبعة الثانية: يناير - 2016
رقم الإيداع: 22650/2015
الترقيم الدولي: 978-977-6445-41-3

المدير التنفيذي : آية عفيفي
مراجعة لغوية : حسين محمد
غلاف : NileDesign.com
اللوحات الداخلية : ناصر الجيلاني

كامل حقوق النشر والطبع محفوظة
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب الإلكتروني
العنوان : : أبراج عثمان – كورنيش المعادي - القاهرة
هاتف : 01002052266
E-mail: info@daralkotob.com
www. daralkotob.com

obeikandl.com

الَّذِينَ أُوتُوا الْحُبَّ

obeikandl.com

obeikandl.com

مدخل

نحن نعيش في المجتمع بدستور صِيغت كل مواده من العادات والتقاليد، نزن الفضائل والرذائل بميزان هذا المجتمع، ونأخذ بالأفكار التي يُصدرها لنا حتى وإن كانت فاسدة وغير مُتسقة مع أبجديات الدين! إن أكبر خطأ نرتكبه حقًا هو أن ندع آفات المجتمع تقود أحلامنا حيث تريد هي لا حيث نريد نحن..

أسماء عايد

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء

إلى حب عمري المُنتظر

obeikandl.com

obeikandl.com

ما أسهل أن تبدأ
وما أصعب أن تتوقف
ما أصعب

obeikandl.com

الَّذِينَ أُوتُوا الحُبَّ

كانت ملامحه أقرب إلى ملامح الجنة، لمست فيها شيئا من النعيم، كأنها تُنبئ بالخلود، وكانت هي مثل كل المُؤمنات تُريد أن تدخل الجنة لتسعد ولتُسلّم ما احتفظت به طيلة عمرها لرجل يعشقها بصدق!

لم تكن تملك قدرًا كبيرًا من الجمال، لكنها تُجيد إبراز القليل الذي لديها، بأناقتها ونبرة صوتها الهادئة وأخلاقها.. وتملك عينين تُشعّان ذكاءً أنثويًا حادًا.. كانت جادة أكثر ممّا يحتمل عمرها الصغير.. بشرتها خمرية تُسكر الناظرين إليها، ذات عينين سوداوين فيهما نظرة حزينة ويظلهما حاجبان كثيفان.. يُزيّن وجهها أنفٌ صغيرٌ مُستقيمٌ يُشير إلى الطريق الذي اعتادت أن تسلكه في حياتها.

كانت مأخوذة به، مشدودة إليه بكل حواسها وروحها وقلبها..

مشدودة إلى فكره الاستثنائي وطبيعته التي تختلف عن طبائع عوام البشر لكنها حتمًا لها قواسم مُشتركة معهم.. ربما علاقته بنا نحن البشر تشبه العلاقة بين كوكب المريخ والصحراء الغربية على كوكب الأرض!

مشـدودة إلى شَـعْرِه شـديد السـواد الـذي يتمَـوّج فـوق رأسـه المحمّلة بحكمة الفلاسفة التي يُدرّسها في جامعة "السوربون" ويُحاضر بها في العديد من جامعات العَالم.. مشدودة إلى حدقتيّ عينين تسبح فيهما كرتان عسليتان لامعتان يُطلُّ منهما نورٌ هادئ، تُظلهما رموش سوداء تُلامس جفنيه في نعومةٍ حين يفتح عينيه، يعلوهما حاجبان كثان مُقوستان قليلاً، ويزيّن ملامحه أنف جميل حدَّ البهاء، وثمة وجنتان بغمازتين عميقتين على جانبي الوجه وشفتين لم يُخلق مثلهما في البلاد..

ودّت لو تُقبّل هاتين الشفتين التين تُطل من بينهما ابتسامة دائمة.. وخجلت من هذه الفكرة التي انتابتها وباتت تُطارد خيالها كلما رأت شفتيه.. إنها فتاة مُحافظة خجولة ولم يَمسسها بشر من قبل فما الذي جرى لها؟ أتريد مُعانقة شفتيه أم مُعانقة تلك الابتسامة التي لا تغيب عنهما.. إنها تُريد تلك السعادة وكفى!

تستغرب حين يقولون إن الحبَ أعمى، فالحقيقة أن حُبّها لـ"محيي" جعلها أكثر إبصارًا وأكثر إحساسًا بالحياة، أما نقيضه -الكُره- فهو الذي يُحوّلنا إلى عميان بقلوب سوداء لا تحس ولا تُبصر غير مساوئ الحياة وعيوب البشر.

حين أخبرها بأنه عائد إلى باريس.. كانت تودّ أن تقول له:

- خذني معك في حقيبة السفر!

ودّت لو تقولها هكذا ببراءة الأطفال حين يطلبونها من آبائهم عند سفرهم، وبسذاجة من لا يعرف أصول رحلات الطيران وقسوة الاغتراب والرحيل!

ودّت لو تصدع بما تأمرها به مشاعرها، وتُنفّذ ما تقضي به سجيتها، مُذعنة في ثقتها به.. إلا أنها كانت لا تزال تتدثر بغشاء الحياء الذي نسجته نشأتها الصارمة. ضغطت بأسنانها على شفتها السفلى كأنها تخشى أن تنطلق منها أي كلمة من فوق لسانها رغمًا عنها.. وراحت تتطلّع إليه خافقة القلب، تحتويه بعينيها كأنها تضمّه إلى صدرها، كأنها تحرسه بظلالها الوارفة، تماما مثل أمٌ عطوفة وودودة تحنو على طفلها فى رفق ولين.

اقترب منها، وهو يبتسم ابتسامة هادئة كأنه يُعينها بها على الصبر:
-سنكون معًا في المرة القادمة يا "ماجدة".

كفكف دموعها التي انسابت فرحَة وخجلاً من اكتشافه لحُبّها ، فابتسمت وكأنها صفحت عن الدنيا وعنه:
- أنت معي دائمًا يا "محيي" لكنني لا أريد أن تغيب عني عيناك اللتان أعطتني كل ما حرمته مني هذه الدنيا..

أضافت بتسليم:

-لا يعلم الغيب إلاّ الله.

كانت تشعر أنها مَدينة لعينيه بالفضل؛ فهما سر سعادتها! ولم تكن تعرف من قبل أنه من الممكن أن يخلق الله عيونًا بعمق أوجاعنا وجراحنا لتكون وظيفتها في الحياة أن تحتوي كل من يراها.. أن تحتضنه بنظراتها.. أن تُهدهده وتمسح عنه آلامه التي علّقت به لسنوات.

كانت تودّ التعلّق برقبته كما يتعلّق الطفل في أمه ويتشبّث كي لا تبتعد.. بينما هو غارق في سرد تفاصيل عشقه لعاصمة النور بذاكرة مُتّقدة لا تنسى شيئًا حتى التفاصيل الدقيقة! وكيف ينسى باريس التي عاش بها أكثر مما عاش في وطنه وذاب في شوارعها وهو يمشي تحت الأمطار حين تتساقط مُرفرفة..

تلك المدينة التي جعلته يملك حكمة الشاعر "دانتي" في "الكوميديا الإلهية": "لن يغدو العالم حقيقيًا إلا عندما يتعلم الإنسان كيف يحب!"

يقول إن سر رقي فرنسا وتقدّمها هو تقديسها للمشاعر النبيلة.. وسر تأخر عالمنا العربي أننا ننكر مشاعرنا مُدّعين أننا أمّة مُحافظة. الحب عندنا عورة واجبة الستر، والعشق فضيحة.. ولنا في كل دولة عربية سدنة أخلاق غير أخلاقيين!

لقد فتحت حياته في باريس آفاقًا جديدة من الرؤية والثقافة المغايرة، وانفتحت مداركه لتجتاز حدود المكان.

صاريقينًا لديه أن العلاقات الإنسانية في الشرق أقل بهجة من تلك التي في الغرب.. ربما لأن البشر هناك يلقون الدنيا في صراحة ووضوح أكثر منّا.. ونحن بالمقارنة إليهم نُوارب الأبواب ونُداري المشاعر كأننا مُلوثون بتهمة نخشى أن تفتضح أمام المجتمع!

كانت هي امرأة شرقية خالصة تُداري مشاعرها بكل ما أُوتيت من صبر! لقد فضَّلت الوحدة واختارت السكوت ومَارست على نفسها ضغط العواطف حتى انفجرت بالحُب أمامه بعد ست سنوات من دون أن ينكشف الحجاب عن قلبها، ربما للمران الطويل الذي اعتادته في إخفاء عواطفها عنه تقديسًا لأسرته.

كانت تُخفي العواطف لأنها تعرف مُسبقًا أن كل شيء يَحول بينهما.. وكانت تلعَن كل الأشياء وتلعَن المجتمع وأحيانًا تلعَن حتى الحُب.. ذلك المارد الذي يَقتلنا ببطء.

وكان على مدار هذه السنوات يستشعر وينتظر البوح، فهو الآخر كان يرتاح لها، فقد كانت من ذلك النوع الذي يتسلّل تدريجيًا إلى القلب خفية ليستقر في الأعماق.

ذلك النوع ذو الطبيعة الهادئة، والبعيد عن التبتّل الاستعراضي.. النوع المعرّض عن كرنفالات المجتمع ليقبع في عُزلة العمل نهارًا وفي عُزلة تذكّر الحبيب ليلاً، ذلك أن الحُب على ما نجد فيه من سعادة سامية عند اللقاء، قد يكون أسمى عند الحرمان لأننا في اللقاء نستشعر اللذة بالحواس فقط.. أما في الحرمان نستشعر بالخيال وبالذكرى وعندئذ يكون الحُب المنزّه.. وتكون الحكمة!

قبل أن يتوجَّه للمطار عائدًا لفرنسا.. قال لها مُعاتبًا بودٍ:

- لماذا كنت تخفين مشاعرك عني أيتها الخجولة حد الشقاء؟! لقد كنت أنتظر إعلانك الحب حتى أخوض المعركة وأفتح كل الأبواب المُوصدة في وجه زواجنا.

فقالت مُدافعة:

-لم تكن لديّ شجاعة اتخاذ الخطوة الأولى.

فقال:

-عدم التحدّث بصدق عن مشاعرنا هي نزعة تُغذّيها المقولات الجاهزة عن التقاليد الشرقية المشكوك أصلاً في صحتها.

obeikandl.com

هكذا هو دومًا حياته سلسلة من الرفض.. يرفض القبول بالأشياء الجامدة، وبالأفكار السائدة، وبالنخبة الساذجة التي تعظ مُدّعية العلم والفضيلة.
لم يكن مصابًا بالازدواجية التي يعاني منها الرجل الشرقي.

ربَّت على كتفها، وربَّتت على ظهره، فضمّها إلى صدره، وشفتاه مُلتصقتان بجبينها.. واقترب منها بكل ما سمحت له من تهوّر لا حدود لسلطانه.. باقترابه كان يريد أن ينتمي إليها كي يذوب فيها ويتلاشى في لحظة عشق أولى بينهما..

أحسّت بأنفاسه تطوف بعنقها وخصلات شعرها تتوه بين أصابع يديه.. كان أول رجل في حياتها.. أول قُبلة وأول مُداعبة وأول من يُرتّل عليها آيات الحب ترتيلاً فيُعيد الحياة لقبلها الآسن منذ مجيئها للدنيا.

بسعادة مَنْ تحتضر قالت له وهي تُودّعه في مطار القاهرة:
-إن المسافة التي ستُسافرها الآن لن تحجبك عني يا "محيي"، لي قُدرة على رؤيتك مهما كنت نائيًا وبعيدًا.. قُدرة على تصوّرك تقف أمامي.. تُحدّثني.. عينيك تحتويني..!

عادت تقول وهي تنظر إلى عينيه وكأنها راهبة تُصلّي في خشوع:

-أنت العيد الصغير الذي أصوم لأجله عن كل المعجبين حولي.. وأنت العيد الكبير الذي لأجله أطوف حول كعبتك الشريفة.. تأديتي لهذه المناسك لا ترهقني بقدر ما تسعدني.. تسعدني فقط لأنها لأجلك أنت..

ضمّها إلى صدره وكأنه يَضمّ كل ما له في الدنيا، وعلى جبينها طبع قُبلةً لها طعم المعجزة التي تُنبئ برسالة سماوية. عادت تقول:
- أنت الرجل الوحيد الذي دخل حياتي واستقر فيها.. قلبي بدأ يخفق معك ويبدو لي أنه سينتهي معك.. سأنتظر عودتك من فرنسا لنسافر إليها معًا في المرة القادمة.

من بعيد ظلت تُحيطه بعينيها حتى اختفى بعد أن رَسَم على جواز سفره ختم مُغادرة البلاد.. فأمسى وجهها شاحبًا مُمتقعًا.

لقد حاولت-من قبل- أن تقتله داخل نفسها، لكنها أدركت أنها هكذا تنتحر هي تدريجيًا.. حاولت أن تتجلّد حتى تظل على قرار الابتعاد عنه الذي كثيرًا ما اتخذته وتراجعت عنه..

انضمت لصفوف المقاومة مع المجاهدين ضد أهواء القلب.. وقفت مع كل الهاربين من الحب.. مع كل مَن فرّ لأنه لا يجرؤ على المواجهة لكنها لم تقو على نسيانه..

بل تتذكر كل كلمة قالها وكل همسة وكل لفتة له.. فكل شيء منه يطبع في ذهنها ذكرى جميلة مقرونة بالسعادة.. وكلما سقطت من الذاكرة استدعتها بخيال فذ يعد بأفراح الدنيا والآخرة.

كانت تعيش في ركابه وفي حِماه مُكتفية بأسابيع قليلة من كل عام تراه فيها حين يعود لإلقاء بعض المحاضرات في جامعة القاهرة..

لقد كان مشوار حياته الفكرية الذي بلغ أوجّه وهو لم يبلغ بعد الثالثة والثلاثين عامًا هو مشروع تخرجها الذي نالت عنه درجة الامتياز قبل ست سنوات من الآن، وعُيّنت مُعيدة في قسم الفلسفة بالجامعة..

لم تكن تُدرك آنذاك أنه سيكون مشروع حياتها وأنها ستلتقيه مصادفة بالجامعة فيما بعد لتتحوّل إلى باحثة في مَلَكُوته، فتعشقه من النظرة الأولى وتَهبه سنوات شبابها إذ تظل دون ارتباط حتى وهي تقترب من الثلاثين من عمرها..

تظل هكذا لتحافظ على ذلك الحب الأول في حياتها إلى أقصى الحدود، فتحرم نفسها نعمة الزواج على كثرة عُشّاقها، وعاطفة الأمومة على قدر ما تهفو إليها، وترضى بلقب "عانس" رغم قسوته في مجتمع عربي، تحرم نفسها كل شيء وترضى بكل شيء إلا أن تقبل بلقب زوجة لرجل غيره!

لقد قررت بينها وبين نفسها أنه سيبقى الأخير وإن احترق شبابها واشتعل الرأس شيبًا. عندما التقته للمرة الأولى في الجامعة قبل سنوات انتابتها حالة من الخشوع، وقالت بلهجة أمَة تُحدّث سيدها:

-لقد تعلّمت منك الكثير دكتور محيي.. دون أن ألتقيك.

فقال مُتواضعًا وهو يُداري سروره الذي تجلّى في ابتسامة:

-أيضًا أنا.. كل شيء تعلّمته في حياتي تعلّمته من أُناس لم يكن لي أن ألقاهم.

وطال الحوار الأول بينهما لما يربو فوق الساعة.. وعندما أوشك على الانتهاء قال لها:

-أنتِ لطيفة جدًا وشخصيتك المميزة ظاهرة في أسلوب كلامك وملامح وجهك.

واستطرد:

-أتمنى أن نكون أصدقاء.

فقالت:

-سأجتهد في أن يكون تعاملي معكَ كصديق أكبر من سنواتي الثلاث والعشرين حتى يَليق عمري برجل في حكمتك.

سَعِد لقبولها هذه الصداقة، قال مُعبّرًا عن سعادته:
-أنا أكبر منك عمرًا فقط، ولكننا نتساوى في الباقي، نحن نتشابه كثيرًا في الرؤى الاجتماعية والأفكار الإنسانية.

وطالت نظرته العميقة لها فتخضّب خداها بخجلٍ ولم تُعلّق على حديثه، وإنما استأذنته في الذهاب وألقت عليه السلام، فمدَّ لها يده ولوهلة اختفت يدها في راحة يده.. كانت تسحب يَدها للهروب سريعًا وكان كمؤمن يمسح يده في أستار الكعبة.. وقد أصبح هو كعبتها منذ ذلك اليوم! كان دومًا بعيدًا عنها لكن حاضرًا في وجدانها.. فهو يُشبه "النور" الذي يُضيء جوانب الروح دون أن نراه.. كالملائكة التي تُحيط بنا ولا نُحيط بها علمًا..

كم تمنّت أن تحيا بجواره وتكون له وحده.. ليُدرك أنّ فتاةً مجنونة مُستعدة أن تضع حياتها كلها في كف رجلٍ لن يكون لها وحدها!

تمنّت لو تسكر حتى الموت على أن تندفن في قلبه الكبير الذي تعشقه.. واثقة هي في أنّ مجرد لمسة من يده الطيبة قد تمنح جميع البشر الرحمة والمغفرة.

يااااه.. كم هو رائع أن يعترف لها بحُبه بعد طول عذاب وإيمان.. إنها تؤمن به حد التصوّف.

منذ تلك اللحظة أشياء كثيرة تغيّرت في حياتها.. حتى وجوه الناس ووجهها هي أيضًا فقد أضفى الحب على بشرتها سحرًا عجيبًا..وتحقّق الوعد وذهبا معًا إلى باريس كأنهما يُبعثان سويًا في عالم جديد، وطافا سويًا في رحاب عاصمة النور ليُؤدّيا مناسك الحب بيدين مُتشابكتين.. أخذ بذراعها كأنما هي عروسه في شهر العسل..

أنهكهما الدوران فجلسا في حديقة "الينكورت".. وهناك لاح بعينيه الخاشعتين تَرْنيق المنام وأطلّت منهما نظرة تأمرها بأن تكون أكثر عطفًا، ونفّذت الأمر عن طيب خاطر، فأحاطت رأسه المتعب بيديها لتريحه على كتفها.. واقترب من قسماتها ليهمس لها بقُبلة على الجبين.. وغمرته بحنانها فربتت على ظهره وكأنها أمٌ تُهدهد طفلها لينام.. ولم يقنع بهذا بل قال في صوت يضخ بفرح الأطفال وعذوبة الحب:
-فلتحْكِ لي حكايات بلا انقطاع يا شهرزاد..

فقالت في دلال تأثّر له:
-أمرك يا مولاي..

ولثوانٍ فتّش في تفاصيلها وغاص في بعضها حد التماهي.. كانت لحظة جنون وبهاء.. لحظة حب مع حبيب لا شريك لك! وحكت شهرزاد.. ونام

شهريار بين ذراعيها لساعات لم تتوقف خلالها عن مُداعبة خصلات شعره وتأمل ملامحه لحفظها عن ظهر قلب ترقبًا ليوم وداع تخشاه!

وهناك في باريس، طلب منها الزواج، وما أن بدأ بريق الموافقة يومض في عينيها إلا وقد تراجعت قائلة وكأنما تصفع نفسها لتفيق:
-لا.. يا "محيي" ففي زواجنا هدم لبيتك الأول.

قال موضحًا:
-الحب لا يهدم البيوت وإنما يبني فينا الأمل ويُعيد ترميم قلوبنا.

وأردف:
-كيف أجسر على التفريط فيكِ يا رفيقتي؟ سنتزوج.. حتمًا سنتزوج.

وسألها كأنما يسأل نفسه في أسى:
- زوجتي في فرنسا.. أأفارقها أم أستبقيها؟

فقالت في نبرة عذبة أتت على البقية الباقية من أعصابه:
-أرجوك "محيي" لا تُطلّقها فهي تُحبك وأنت حتمًا لا تكرهها.

وأردفت "ماجدة" تقول بدافع الضمير:

-هي لم تسئ إليك قط بل أعطتك حين كان البعض ينتظر أن يأخد منك.. حنت عليك في حين كانت الظروف تقسو عليك.. وأنت كنت ومازلت تعترف بفضلها أمام الجميع وهذا يجعلك عظيمًا في نظري كما أنت في قلبي.

زوجته جميلة، تُحافظ على رشاقتها وأناقتها رغم مُضي عشر سنوات على زواجهما وثماني سنوات على إنجاب ابنتهما الوحيدة "جنة".. حتمًا لها غضباتها الصغيرة ككل النساء لكنها امرأة تتميز بالذكاء الوقّاد وبعدم الاعتراف بقانون الأسراب الجماعية، ولا تذعن لأعراف عشائرية ربما اكتسبت هي الأخرى صفاتها هذه من تعايشها مع المجتمع الأوروبي..

ولبث "محيي" يومًا أو بعض يوم في فرنسا يُفكّر كيف يُفاتح زوجته في رغبته بالزواج من "ماجدة"!

يقول لنفسه:
- كلتاهما ذات عقل وحكمة.. وكلتاهما جميلة وعلى خُلق.. تلك تُعطيك الحب وتُهدي لك سنوات عمرها دون أن تنتظر شيئًا ولا حتى كلمة أُحبكِ، وهذه تُعطيك الحُب وأهدت لك الذرية الصالحة دون أن تنتظر شيئًا هي الأخرى. "ماجدة" تُحبّني وأحبها، و"سلمى" تُحبّني وكنت يومًا أحبها. تبًا لك أيها القلب.. كيف تنقلب هكذا فجأة!!.. تبًا لكتب الفلسفة التي عِشت

طيلة عمري في رِحابها ومازالت عاجزة عن تفسير الحُب كما ينبغي لجلاله.. مازال عصيًا على الفهم!

وتحين الفرصة.. وحين جاءت لحظة صفاء بينه وبين زوجته، قال لها في ودٍ أدهشها:

-أتأذنين لي بأن ألثم يدك؟

فمدّت إليه يدها.. فوضعها على شفتيه في خشوع.. ثم أجلسها أمامه وجلس هو في وضع يشبه الركوع.. ثم قال لها:

- لديّ سؤال ولكني أهاب طرحه !

قالت وكفها لا يزال في كفه وتربت هي عليه بيدها الأخرى:

- تقوّيا محيي واطرح ما تريد من أسئلة دون تفكير.

صمت طويلاً ثم حاول أن يجد مُدخلاً يليق برقتها معه في هذه اللحظة، قال:

- إنّهُ لامتياز كبير أن يكون لي زوجة مثلك وتكون لابنتنا أم في عطفك..

واستطرد:

-ما بيننا من ودٍ لن يطمر أبدًا يا "سلمي".. ولكن..

وصمت مُجددًا وكأنه يتأهب للبكاء.. هدهدته "سلمى" وسألته في دهشة:

- ماذا بك يا محيي؟!

رد في خجل:

- لا أعرف كيف تغيّرت مشاعري ولكني أحببتها!

كأن خنجرًا أُخمد في صدرها.. وقالت وهي تنظر إليه بعينين ثاقبتين:

أتمزحُ؟!

وعلى عينيها نزل سواد يُشبه الظلام.. تفوح منه رائحة الموت، وتمنَّت أن تبكي لعل دموعها تُريحها..

وجمت لحظة ثم قالت مُتسائلة:

- "ماجدة".. أليس كذلك؟

أجاب "محيي" وهو يتفادى النظر إلى عينيها:

-نعم.. هي.

تعاود "سلمى" أسئلتها:

-تُريد تطليقي؟!

فأسرع كالمرتاع:

-وكيف لي أن أتنازل عن الراحة التي تُعرّش على بيتنا وعلى طفلتنا.. سنكون أسرة واحدة، أنتِ وأنا وطفلتنا "جنة" ومعنا "ماجدة".

أوجست أن تنشب هذه الزيجة جذورها في فؤادها فيتبعها ما لابدّ أن يتبعها من الآلام واللواعج غير أنها تحاملت على نفسها لإسعاده.

مَطّت شفتيها وكأنها تُصدر الحكم بعد تروٍ، وقالت وهي ترفع أهدابها المخصلة بالدموع:
-لا أحد غير الله يستطيع أن يصدر أمره إلى القلب ليكره وليصمد وليحب.

مضت أيام.. ووضعت الحرب أوزارها وساد السلام بينهما، وبعد عفو عام شمله، اقتربت منه واحتضنته كالنبلاء الذين يتسامحون مع الجميع لإدراكهم أنهم أيضًا خَطّاءون ولإدراكها أن الحب لا تحكمه قوانين تتحكّم في مواعيد الدخول والخروج.

أخبر "ماجدة" بمُوافقة زوجته وفرحت كما لم تفرح من قبل وحدّدا موعد الزفاف.

جلسا معًا يحتفلان.. في مطعم الأكلات الآسيوية التي يهواها.. كانت تضع له "السوشي" في فمه، فيحتضنها بذراعيه ليُبادلها القُبلات

وتُبادله هي حُبًا بحُبٍ.. حُبٌ روحي وعفيف، فالقُبلة عنده توقيع على مُعاهدة حُبٍ دائمٍ.. ولمسة اليد وعدٌ بالأمان والسلام.

وجاء يوم الفرح واستقبله كل منهما ببهجة شديدة على أرض الوطن الذي جمعهما في اللقاء الأول منذ سنوات..

منذ الصباح الباكر انشغل هو بالتأكد من حجز القاعة والإعداد لكل مراسم حفل الزفاف، أمّا هي فذهبت إلى مركز التجميل ظهرا.

مع الثالثة عصرًا تلقى اتصالاً من أحد المستشفيات يخبره فيه أن خطيبته تعرّضت لحادث مروّع وتم نقلها بسيارة الإسعاف منذ ساعتين تقريبًا..

هرول لغرفتها بالمستشفى واقترب منها ليجد أنه لم يَتبق من روحها سوى إغفاءات الموت وشفتين تُتمتمانِ بالشهادتين.. وتُوصيه بألاّ يبكي لغيابها بل يظل على ابتسامته التي عشقتها بين شفتيه التي لم يُخلق مثلهما في البلاد..

قرّبت وجهها منه حتى لثمت جبينه ثم أوصته بأن يتذكّرها من حين لآخر، ويتحدّث إليها كلّما ذهب لحديقة "الينكورت".. وهي ستُنصت إلى حديثه..

وستبقى تُحبه وهي في السماء، كما كانت تُحبه على الأرض، وستنتظره في السماء كما انتظرته لسنوات على الأرض..

ماتت "ماجدة" وعلى ملامحها مسحة من الدعة المشرقة وبين ضلوعها قلب حنون شفوق وفي عينيها دمعة رقراقة وفي فمها أعظم كلمة في كل لغات الدنيا:

أُحبّك.

opeikandl.com

obeikandl.com

جذور وأغصان

obeikandl.com

جذور وأغصان

من الدقائق الأولى في اللقاء الأول بمعرض لوحات تشكيلية أقامته الأكاديمية العربية للفنون بالعاصمة النمساوية، لفت انتباهها أنه يتحدث بلغة استثنائية، فكل عبارة بلهجة عربية مغايرة بل لا تخلو العبارة الواحدة من كلمات مقتطفة من دول عدة. لم يمنعها رداء الخجل الذي تتسربل به منذ وعت الحياة وأدركتها، من أن تسأله أمام زوار المعرض عن جنسيته الأصلية ووطنه الأم! أجاب بصوت طوباوي يعاني انكسارًا بالغًا تخفى في ابتسامة عتاب لجاني معلوم:

- كل قلوب الناس جنسيتي.. فلتسقطوا عني جواز السفر!

ما أقسى أن يولد المرء لوطن لم يتبق منه سوى اسمه، تولد وأنت تحمل جنسية مغايرة.. أو أضعف الإيمان ستمنحك دولة عربية تدعي أنها شقيقة وثيقة سفر لاجئ؛ لتظل طيلة عمرك تتنقل بين بلاد العالم بحثا عن شيء يشبه الحياة ليست بالضرورة كريمة كما يتمناها سائر خلق الله.

ولد في ليلة برد قاسية هي الأخرى بالعاصمة الليبية، عاش بها أربع سنوات قبل أن تنتقل أسرته إلى لقاهرة في مطلع الثمانينات، ولم يكد يمضى عام واحد حتى انتقل للعيش بين جبال أبها كأنه عجوز اختبر الدنيا حد الزهد، وعندما حان موعد التحاقه بالمرحلة الجامعية أصبح مجددا من أرباب الدنيا، فسافر لجامعة البيضاء باليمن في منتصف التسعينات ثم تركها فور تخرجه متجها إلى الأردن عام 2000، توفى الشاعر محمود درويش بالـ"أنيوريسم" في نفس العام الذي توفت فيه والدته وهو على وشك التبرع لها بكليته، ودع كل أيامه الأردنية الموجعة التي عانى فيها جرعات إضافية من الفقد ورحل إلى الخُبر إحدى مدن المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية ولم يطق العيش فيها كما لم يطقه من قبل في كل العالم العربي الذي يتعامل مع اللاجئين الفلسطينيين بمبدأ التعطف وينظر إليهم بعين شفقة مصطنعة لا رحمة فيها ولا عدل.

هو كفلسطيني يعرف هويته، يحفظ قريته وبلدته التي لم يرها، يحفظ أسماء أجداده وشجرة نسبه، حتى مفتاح دارهم الذي هُدم ولم يعد له وجود سوى في أزقة قلبه، عاداتهم القروية والبدوية والمدنية، مواويلهم وأغانيهم، أمثالهم الجميلة وغير الجميلة.

يعرف نفسه جيداً لكن الآخر لا شأن له بكل هذا، الآخر يسأله عن أوراقه الثبوتية، عن جواز سفر لا يملكه، ذلك فقط ما يحدد كينونته.

قرر الهجرة إلى أوروبا وسعى إلى ذلك الهدف بكل ما أوتي من إمكانيات وبعد حين تحقق هدفه وحط رحاله في فيينا.

هناك، ذاق الاستقرار لأول مرة في حياته وهناك ورغم مرور السنوات وتحقيقه لنجاحات عدة، قرر ألاّ يتزوج وألاّ ينجب؛ لأنه يخشى أن يعاني أطفاله مما عاناه، ينتظر استرداد فلسطين ينتظر طرد المحتل ليعود إلى رحابها وإلى قلبها الذي يعشقه رغم أنه لم يعانقه ولو معانقة واحدة.. يوما ما سيعود حين يكتمل المدى.. هناك فلسطينيون قبله خسروا الرهان وخرجوا من الدنيا دون أن يكتمل المدى.
ما زال يعيش في فيينا حتى هذه اللحظة التي أسرد فيها قصته أو قصتها معه أو تلك اللحظة التي كانت لهما قصة واحدة.

في ذلك اللقاء الأول بينهما بالأكاديمية، أصيبت بحالة نادرة من الـ"دَيْجافو" حالة من الدهشة أخذتها من نفسها وأعادتها اليها وهي أقل تعاسة! وفجأة شعرت بأنها تريد العزلة.. تريد المنفى.. ربما لأنها شعرت بالخوف من أن تتعلق بالحياة التي وجدتها بين ملامحه.

لها حياة صوفية، حياة خيالية موازية للواقع، لكنها أكثر شفافية منه. لها هلوساتها المجنونة التي لا تتخطى أعتاب العقل! مُثقلة بالتروي، ولكن، أحيانا تضحك وتبتسم أكثر مما ينبغي؛ ربما حتى لا تبكي كما ينبغي..

لها عالمها الذي تشاهد منه البشر مشاهدة خاصة.. تلمسهم دون اقتراب وتصادقهم عن بعد. لذا كانت كلما تقدمت في ملكوت أحدهم خطوة تراجعت خطوات.. هكذا هي، تفضل الوحدة مهما كان بها من عتمة فعتمتها نور وبياض وقراءات ليلية!

تذكر تلك اللحظة التي باغتتها مجموعة من التصميمات الجميلة على محرك البحث جوجل.. كلها تحمل كلمة "أحبك"، فتشت في ذاكرتها عن الكلمة فوجدت أنها لم تنطق بها طيلة عمرها! عبرت عنها في لوحات ونظمتها شعرا على لسان أبطال آخرين ولم تكن يوما بطلتها في قصيدة تخصها كفتاة وليس كرسامة وشاعرة.. تقسو على قلبها حد التعب ودون سبب يستحق كل هذا الزهد والتقشف.

تشعر بمأساته كفلسطيني رغم أنها من جذور سودانية غير محتلة على الأقل علنا.. لا تنسى أبدا الصوت الباكي لابنة صديقتها ذات العشر سنوات وهي تسأل أمها الحاملة لوثيقة سفر:

- ماما.. لماذا خلقنا الله فلسطينيين؟!

ولا تنسى ذلك اليوم من عام 2013 حين توقفت عند بائع أعلام بشارع ماريا هلفر تطلب منه علم فلسطين لتصطحبه معها وهي ذاهبة للمشاركة مع جمعية الشباب العربي بالنمسا في إحياء ذكرى نكبة

فلسطين، فأخرج لها بائع الأعلام الغربي علم إسرائيل فدمعت عيناها وتساءلت:

-ألهذا الحد برعت إسرائيل في إقناع العالم بأن أرض فلسطين هي منبت اليهود ولهم فيها حق السيادة وزرع نجمة داوود الزرقاء بين خطين أفقيين فوق أي بناية تروق لهم؟

المشهد يعيد إلى ذهنها مشهد مدينتها ملكال حين انفصلت مع سائر مدن الجنوب عن شمال السودان فتغيرت هيئة العلم التي طالما قامت بتحيته في طابور الصباح بالمدرسة وطالما حملته بين يديها كطفل يحتاج حنوها ورعايتها.. الآن صار علما لدولة أخرى. وكما تألمت داخل الحدود قبل الهجرة، فقد تألمت خارجه في مجتمع البيض الذي ينظر إليها على أنها تنتمي إلى فئة البشر الملونين، بالتعبير الأوروبي المنطوي على مفهوم عنصري وعرقي.

تفيق من بئر المشاهد العالقة بالذاكرة لتجد المعرض وقد أخذ في الأفول والجميع على وشك الانصراف، تقترب من هذا البهاء الذي كل قلوب الناس جنسيته، تقترب وفي نيتها الاعتذار له عن سؤالها عن جذوره.. السؤال عن الهوية جارح لمن لا يملك إثباتها إلا شفاهيا ببيت لدرويش أو لغسان كنفاني.

اقتربت منه تمامًا حتى جاوزت ضفافه، وكأنها تلقي بنفسها في تيار لا تعرف مُنتهاه.. ما أجمل أن يقترب غصنان وينظر كل منهما للآخر ويقول في أعماقه:

-ماذا لو؟

اقتربا وساد السكُون لثوانٍ قليلة، فتذكر أبيات للشاعر الأمريكي والت ويتمان عن الغرباء الذين لا يتحدثون مع بعضهم حين يلتقون: لقاء الخجولين يشبه ظلا يلامس ظلا...

بينما كانت تخشى أن يفارقها بقدر ما تتمنى هي الهروب منه فور تقديم الاعتذار، ولم تكد تكمل كلمة "آسفة" إلا وقاطعها بحبور غمرها:

-لا عليك، سيدتي فلم يزعجني سؤالك مطلقا!

قالت بدلال عفيف أرادت به إتمام الصلح:

-فلتخبرني إذن أي جنسية تحمل في أوراقك الرسمية!

قال في صوت يكاد يكون شجنًا:

-كنت أحمل كرها وثيقة سفر مصرية للاجئين الفلسطينيين والآن أحمل طوعا الجنسية النمساوية.

-المضحك المبكي أن الدول العربية التي كانت تعرقل دخولي وأنا من حاملي الوثيقة، الآن ترحب بدخولي مع ابتسامة عريضة عند وصولي بالجواز

الأوروبي. وقديما كان مكتب الجوازات يقوم بفرزي بمنأى عن القادمين الآخرين وكأني الشيطان الرجيم يقترب من عرش الرحمن أوكأني مصاب بفيرس الإيدز أو أنفلونزا الطيور أو الاثنين معا.

ويكمل في مرارة وحنق:

- في احدى المرات ضابط جوازات مستجد ما زال يفتقد الخبرة اللازمة ليكون وغداً بما يكفي، أتهمني أنني أحمل وثيقة سفر مزورة، فأُغمى عليَ فرحاً، لقد أصبحت هذه الوثيقة التعسة قابلة للتزوير أسوةً ببقية جوازات العالم.

فقالت في صوت عطوف تهدجه نبضات قلبها:

-لا تحزن!

توسع في شكواه لها وكأنه كان ينتظر هذه الفرصة للفضفضة ربما تضمد جراحه:

- ذات مرة ارتكبتُ خطيئة في السفارة المصرية، حيث - وبعد أن قدمت الوثيقة للموظف المسؤول- زلّ لساني فسألته متى يمكنني العودة لاستلام الجواز، فنظر إليّ بازدراء والشرر يقدح من عينيه وصاح بي مستنكراً "ما تقولش جواز.. قول وثيقة"! أردت في لحظة تهور أن أقول له "يعني غلطنا

في البخاري يا خَيْ" ولكني استغفرت الله كثيرا وتأسفت له راجياً منهُ ألا يؤاخذني إن نسيت أو أخطأت.

يستدرك أمره فيعود لما كان في بداية الحوار قائلا:

-أعتذر عن لهجتي المختلطة.. هي ضريبة المنافي!

فتقول له بصمت "في أعماقها":

-ليتني وطنك الأوحد!

بدت علاقتهما كالنباتات الهوائية التي لا تحتاج إلى تربة لتنمو.. بل إلى ضوء وكان هو الضوء المحتفي وهي اليخضور المعتم الذي يتبع حبات النور.

أفل المعرض، ومن ليلتها، لم تعد أيامها تعرف الهدوء التي عاشت في إهابه دهرًا طويلاً مُطمئنة قانعة.. فقد كان عَالَمًا بأسره، وليس أحدًا من الآحاد.

obeikandl.com

أبغض الحلال

obeikandl.com

أبغض الحلال

الاستماع لصوته يشبه-في تأثيره النفسي عليها- الاستماع لصوت بحر هادئ، بل الاستماع لأعذب تلاوة قرآنية.. نبرة صوته تجعلها تشعر أنها في صفوف الملائكة ولا ينقصها سوى أجنحة بيضاء تأخذها إلى السماء لتكون أقرب إلى الله، حتى في اللحظة التي يعلن فيها صاحب الصوت انسحابه من حياتها كانت تستمع إليه في خشوع وخضوع لمشيئته!

لم تكن تملك آنذاك خبرة القول أو الفعل لامرأة تريد أن تستبقي رجلا تحبه إلى جوارها! لم تكن حتى تفكر في علاقتهما سويا على أنها -فقط- علاقة "رجل بامرأة" فهذه الأخيرة مصيرها إلى زوال حتى وإن وثقت على يد مأذون، تكره هي المأذون وتخشى الاقتران بأي رجل. لذا؛ كانت تتلّمس طريقها نحو الحب بحذرٍ.. وتتساءل في أعماقها:
-أمِنَ المهم أن أحبَ وأن أتزوجَ كبقية الفتيات؟!

ولم يُمهلها القدر وقتًا للإجابة عن هذا السؤال المُؤرّق إذ اجتاحتها المشاعر سريعًا وذابت ذوبانًا في قلب زميلها الجديد في العمل

صاحب ذلك الصوت العذب، ذابت في مُعاملته الطيبة التي تَنمُ عن التزام حقيقي بأُسس الدين..

أحبته وأحبها.. وارتاحت له أكثر عندما عرفت عنه أنه مُطلّق!

قالت في قرارة نفسها:
-هذه ميزة فيه لا يجب أن أفوّتها! إنه رجلٌ يُؤمن بأن الطلاق حلالٌ وإن كان أبغضه..

-رجلٌ إذا استحالت العِشرة يومًا ما بيننا فسيُطلّقني لأنه يُؤمن بالطلاق كحلٍ، وإلا لما أقدم عليه بعد فشل زيجته الأولى..

كانت "آمال" فتاة مُشرقة حد البهاء، رومانسية حد الدهشة، تنظر إلى الحب على أنه أسمى وأنبل ما في الوجود، وفي أعماقها يقينٌ بأن الكل يبحث عنه سرًا وعلانية.

أما والدها فينظر إليه على أنه خروجٌ عن القيم والتقاليد.. إن الحب الذي يُؤمن به هو هذا الإحساس الذي يتوّلد تدريجيًا عند التعوّد على شخص ما بعد الزواج منه، وعنده مَنْ يتزوج لا يُمكن أن ينفصل مهما استحالت العِشرة ومهما تقلّب القلب في مشاعره.. إن حُكم الزواج في شريعته يُعادل حُكم الأشغال الشاقة المُؤبّدة التي تُصدره محكمة

الجنايات عند ارتكاب أبشع الجرائم.. وقد كان الحب عنده جريمة لا تبرير لها!

كثيرًا ما نظرت هذه الفتاة الحالمة إلى أمها التعيسة منذ ربع قرن وقالت لنفسها في أسًى:
-لماذا لا تطلبين الطلاق؟! أيُ حياةٍ هذه التي تحينها بجوارزوجٍ لا يعترف إلا بجسدك عندما يجمعكما الفراش وبمحفظة نقودك عند أول كل شهر؟ هل خُيّل إليكِ أنه خيرٌوأبقى من غيره؟ أم تخافين طلب الطلاق فلا تجدين عونًا ولا نصيرًا من المُحيطين بكِ وأولهم أنا وأخي وكذلك أخوتك؟

والدتها، سيدة المجتمع، مِمَّ عساها أن تخاف؟ ووالدها، المحامي المعروف الذي طاف العالم واختبر صنوف الحياة، لماذا يتمسّك بامرأةٍ لا تُطيق العيش معه ولا يَعنيها إسعاده؟

كل ليلةٍ تنحدر على خديّ الفتاة دمعتان حارتان وفي دموعها خجل وحياء من أن تسأل أمها كل هذه الأسئلة التي تُحيّرها منذ وعت الحياة وأدركتها..

وفي دموعها أيضًا استغفار! باتت تستغفر الله لها ونيابة عن أخيها فربما وجودهما هو سر مُواصلة هذه الحياة الزوجية البائسة.. كثيرًا

ما أحسَّت أن الله نزل من عُلاه ليمسح بيده الكريمة فوق عينها الكليلتين من فرط الحزن.

لقد قرّرت بينها وبين نفسها ألاّ تُنجب أبدًا لأنها كما رأت أسرتها، فرأت أسرًا أخرى كثيرة تستمر في حدوتة الزواج فقط من أجل الأبناء ومرضاة لعيون المجتمع الذي لا يرضى عن الطلاق ويرى فيه نقيضة للأخلاق..

لم تكن في بادئ الأمر تفطن لتبدّل نظرتها في الحب ولتحاملها على نفسها. ومع الوقت تحوّلت إلى فتاة جامدة القلب كالحجر الصلد، عازفة عن الزواج وعن كل ألوان الأمل التي تُزيّن أذهان الفتيات في مثل عمرها..

ومن فرط الأسئلة التي اعتملت في جوفها، اقتربت من أمها وحدّثتها بما يدور في خلدها، ووجدت شيئًا من العزاء عندما أخبرتها أمها بأنها كثيرًا ما طلبت الطلاق لكنه يرفضه بشدة وعبثًا حاول هو أن يُقنعها بأنه من المُحرمات وكأنهما تزوّجا في كنيسة زواج لا رجعة فيه..

وأكملت الأم شكواها قائلة:

لا أخفيكِ سرًا يا بُنيّتي أنني بدأت مؤخرًا أفكّر في الخُلع..

وارتعدت الفتاة لهذه الفكرة ولم تحتمل مُجرد تخيلها لكنها مع الوقت تقبّلتها ولانت لرأي أمها، وصارت داعمة لموقف أمها أمام جميع الأهل الذي كان رأي بعضهم جامدًا ولا يختلف كثيرًا عن رأي الأب.

ولم يكن دعم "آمال" ولا دعم أخيها كافيًا ليخضع الأب لمطلب الطلاق وبقيت الحالة مُعلّقة لخمس سنوات تكرّرت فيها القطيعة وتكرّر الصلح الذي تليه العودة للبيت ولمُمارسة واجبات الفراش.. وتكرّرت المُشاجرات وارتفعت أصواتهم وتدّخل إمام المسجد مرات وتدّخلت الشرطة مرات أخرى!

بعد خمس سنوات تجرّأت الأم على رفع قضية الخُلع وحُكم لصالحها وانفصلت أخيرًا عن زوجها وهي في الخمسين من عمرها.. لكن ابنتها "آمال" لم تتجرأ بعد على رفع الحجاب عن قلبها لتتزوج ولتحب رجلا غير صاحب الصوت الملائكي.

زميلها في العمل صاحب الصوت الملائكي الذي كثيرًا ما فكّرت فيه طويلاً حتى تجسّد طيفه أمامها بجناحين مُستعارين من الجنة، هكذا تتخيله وهكذا كانت تنتظر منه أن يكون عندما صارحته بأن والدتها خلعت والدها منذ ما يقرب من عام.. أحسَّ فجأة أن هناك جسرًا من العثرات قد بُني في الطريق المُؤدي لزواجهما، واستقرت في عينيه نظرة

ثلجية صارمة.. بدأت بعدها مشاعره نحوها تتراجع كالجيوش المُنكسرة.. وبدأ في سحب أوراق مودّة ورحمة كان قد تقدّم ووعد بها.

وقال لنفسه بامتعاض شوّه وسامة وجهه:

-كيف لي بالزواج من فتاة لوالدتها تاريخ كهذا؟

-ألا يُمكن أن تكون صورة طبق الأصل منها وترفع عليّ قضايا أمام المحاكم في المستقبل؟

وقال لنفسه مُجدّدًا.. بعد أن كره فكرة الزواج منها واستبشعها:

-لا.. لا.. ليس معقولاً أن أُلقي بيدي إلى التَّهْلُكة فلا يمكن أن تكون زوجتي وأم أولادي ابنة لرجل مخلوع!

انسحب من حياتها، وانسحبت الحياة من روحها تدريجيًا! بعدما ظنت أنها تصالحت مع الحياة وتعافت نفسيًا من آثار الخراب الذي خلفته الحياة الزوجية لوالديها.

انفصلا والديها لكن "آمال" لم تنفصل بعد عن مخاوفها من أن تتحوّل لصورةٍ من أمها التي أقامت للمجتمع ألف حساب وحساب، وكأن أفراده آلهة صغيرة وللآلهة- دوما- العتبى حتى ترضى!

مُنتصف العُمر

obeikan.com

obeikandl.com

مُنتصف العُمر

انتهى حفل الزفاف.. وغُلّقت الأبوب، ونظرت له نظرة خاطفة، كأنما تقول له بعينيها العسليتين:

-هَيْتَ لك.

فنظر إليها بعينيهِ المُحملقتين في مفاتنها، حتى أيقظت فيه رغبة لطالما حاول إخمادها منذ انفصاله عن زوجته الأخيرة!

وفي ثوانٍ قليلة كانت قد ملأته الرغبة.. إلا أنه قال لها في لهجةٍ حاول تهذيبها:

-كان الحفل فخيمًا.. أليس كذلك؟

فأجابت بنبرة الخبيرة بما يحمله السؤال من حثها على الاعتراف بالجميل:

-طبعًا يا حبيبي. وكيف لا وقد أحيا الحفل كبار المُطربين في البلد وحضره صفوة المجتمع من زملائك المُمثلين المعروفين والعديد من الشخصيات العامة.

وتفتق ذهنه عن فكرة فقال لها مُراوغًا:

-ولكن.. رغم وجود المُطربين إلا أن الحفل كان ينقصه راقصة!

obeikandl.com

فقالت مُتفهمة لطلبه:

-الآن.. سأُقيم حفلاً خاصًا لك وحدك.

رقصت له على أنغام "ماتفوتنيش أنا وحدي" لـ"سيد مكاوي"! كانت تتمايل عليه وهي تضحك في خلاعة كأنها بائعة هوى مُحترفة! وذاب الرجل فقال في أعماقه مُشفقًا على نفسه:

فتاة بِكر تتفجّر منها كل هذه الأنوثة كيف لي بترويضها؟ وسريعًا ما وضع في رأسه خطة مُحكمة.. وشرع في التنفيذ بالبحث عن معالم الطريق إلى شفتيها...

لم يتزوّجا عن حبٍ يسمح لها بأن تتغاضى عن بعض عيوبه أو يتغاضى هو عن بعض حقوقه.. فقد وقّع كل منهما على عقد الزواج وهو يُدرك على أي شيء يُوقّع!

هو يُريد جمالها وشبابها وهي تُريد ماله وشهرته.. وكأن كل مرة يذهبان فيها للفراش ليست علاقة حميمية يفعلها الطرفان بشغفٍ.. ففي كل مرة يلتحم الجسدان وليس بينهما لغة مُشتركة مملوءة بالحنين والأشواق والصمت!

هي من الأفّاقين نهّازي الفرص.. رأت في جمالها جسرًا من المُمكن أن تعبر عليه إلى عَالم الثراء، وفي ادعاء الحب طعمًا تقدّمه لمن يجعلها تحصل على ما تريد من مباهج الحياة.

أمّا هو فيبحث عن السعادة وكفى، ويجد تبريرات لنفسه ولأولاده وللمُجتمع قد يجعلك تتعاطف مع حاله وتقول في أعماقك: (كم هو مسكين ذلك الرجل..رغم المال والشُهرة فها هو قارَب على الخمسين من عُمره دون أن يجد امرأة واحدة تفهمه لتكون زوجة العمر كله!)

وحَاولت هي أن تفهمه وتكسب وده لتكسب مِن ورائه ما تُريد لكن أطماعها كانت أكبر ممّا يُريد أن يُعطيها.. فقد كان حريصًا على ماله من أجل مُستقبل أولاده الذي يشعر نحوهم بعُقدة ذنب كبيرة، لأنه لم يختر لأي منهم أمًا مُناسبة ولأنهم عاشوا جميعًا مُمزقين تارة بين بيته وأخرى بين بيوت أمهاتهم.

لم يستجب لكل طلباتها فبدأت في التذمر وخرجت منها كل بذاءات الدنيا، وبدأ يندم على سوء اختياره! وفي أقل من شهرين من ليلة الزفاف كانت أخبار الخلاف بينهما تملأ الصحف.. خاصة بعد أن وصل الأمر لتقديم بلاغات ورفع قضايا أمام المحاكم بعد انفصالهما!

بعد هذه الزيجة صار مُحبطًا بما يكفي ليتخذ قرارًا ألاّ يتزوج ثانية وأن يكف البحث عن السعادة..

بعد هذه الزيجة كان كلما خلا إلى نفسه يأتيه صوت دافئ مثل هذه الأشعة التي تخترق نافذة مكتبه التي قلّما يفتحها.. يأتيه الصوت غامضًا ثم شيئًا فشيئًا يتضح حين يُغمض عينيه ويتذكّر صاحبة الصوت فتملأه الذكرى عن آخره.

يتذكّر تلك الفتاة النبيلة التي يمتلئ عمرها بالحياة الحقة.. لا بالسنين! عرفها قبل عامين من الآن، فتاة أحبّته لذاته وأحبَّت أولاده لذَاتِهم، فعاملتهم بحنانٍ لم تعاملهم به أمهاتهم.. تُلاعب طفلته الصغيرة لتُسعدها، وتُصادق ابنته المُراهقة لتحتويها، وتُحفّظ ابنه القرآن لتهدأ شقاوته، وتُرافقهم عند ذهابهم إلى المحال لشراء ملابسهم الجديدة، وإلى مدارسهم للتحدّث مع أساتذتهم إذا حلّت بهم أية مُشكلة مع زملائهم.

تلك الفتاة التي كانت مُستعدّة أن توقّع شيكًا على بياض لتهبه عمرها ومستقبلها مُتغاضية عن تاريخه الحافل بثلاث زيجات وأربعة أبناء وخمس طلقات.. تلك التي هبط عليها الحب كالوحي فملأها يقينًا لا سبيل إلى الشك فيه فأضاء جوانب روحها وأدركت آنذاك أنها قد وقعت تحت سطوته.. حتى شعره الأبيض الذي يَعرِض عنه البعض كان يبدو لها -كلما

حركته نسمات الهواء- كأجنحة الملائكة التي تُرفرف على المكان لتمنحها الطمأنينة والأمان. وأجمل قسمات وجهه لها هما تلك العينان المتعبتان التي يشع منهما حزن تمنت لو تحوله لسعادة.

أمّا هو فأحبّها لدرجة جعلته يُفكّر في الابتعاد عنها خوفًا عليها من شيخوخته وحياته الصعبة، مهما بدت سهلة ومُغرية للبعض في ظاهرها.

فقط عندما تعانقا للمرة الأولى.. هدأت قليلاً هذه المعركة الخفية -بداخله- بين الشباب والشيخوخة! ولم تكن قبلها تباهي بشبابها ولكنه كان يُشعر نفسه بشيخوخته.. والتي لم تحس بها قط وهي معه! فقد كانت تراه أكثر الرجال شبابًا وحيوية بل كان -عندها- الرجولة ذاتها.. كثيرا ما قالت له لتطمئنه:

- لا يهم كم مضى من العمر.. بل كم تبقى! فالحياة تستحق أن تعاش حتى آخر لحظة في العمر.

لكنه لم يشأ أن يكون أنانيًا فقرّر الابتعاد!! أراد أن يأوى من حبها إلى حصن منيع لهذا فارقها.. صحيح أن الاشتهاء غالبًا ما يُرافق الحب إلا أنه أحبّها حبًّا صافيًا رفعها فيه إلى مرتبة من الطهارة، وسمَا بجمالها إلى معاني من القداسة تضاءلت أمامها كل اعتبارات الغريزة

ففيها صفات سامية وفيها الحنان الدافق والرقة البالغة وهي -مهما تُخطئ في حقها- تتسامح كأنها إله غفور رحيم.

تراجع عن فكرة الزواج منها رغم أنه كان قد تقدّم بالفعل لخطبتها رسميًا وتعارَف أهله على أهلها.. تراجع وفارقها كأنه يُفارق السعادة وقال لها في حبٍ يُغلّفه الحزن:

-أنتِ الحلم الذي جاءني في الوقت الخطأ.

قالت وهي تنشج كأنها في النزع الأخير من حياتها:

-الأحلام لا توقيت لها.

وأردفت قائلة:

-إن الخطأ في مُجتمعنا الذي يضع بروازًا لكل مرحلة عُمرية ليكتب بداخله المباح والممنوع!

ثم اتهمته بالتشاؤم للصورة التي يُمكن أن تكون عليها حياتهما الزوجية سويًا.

فدافع عن نفسه قائلاً:

-بل أنا واقعي يا صغيرتي.

opeikandi.com

قالت وهي تنزع الكلمات من أعماقها بإرهاق كبير:
-لا فرق بين الاثنين.. فالمتشائم والواقعي اثنان لا يُمكنهما إحداث تغيير في الحياة فهما غير قادرين على الحلم بالمستقبل.

وأقبل عليها ليُهدهِدها وليحتويها بكل ما أوتي من رحمة وإنسانية.. مُعترفًا لها:
-صدّقيني.. لا عمري سكنت ولا اتسكنت ولا هاسكن في غير حُبك!

ومسحت هي الأخرى على كتفه.. وبكت كثيرًا على صدره وبكت أكثر بعد يوم فراقهما، وانحنت لحُبه إجلالاً! ربما يعود إليها! أمّا هو فظل مُنتصب القامة كأنه إله يقسو على عبده الضعيف الهش ليعيش فيما بعد في صلاح وسعادة يستحقهما! لقد كانت أحلامها صغيرة وقسوة الدنيا كبيرة.. كبيرة جدًا.

ويفيق من الذكرى في كل مرة مُتمتمًا لنفسه:
-قد ننسى حبًا جرّبناه وعِشناه.. لكننا غير قادرين على نسيان حب لم نعشه ولم تكتمل تجربته!

شيءٌ واحد تبقّي له منها.. هو صدى صوتها المليء بالعشق العف الذي يُحوّل قلبه لنور مُشع كلما باغتته الذكرى!

obeikandl.com

في الطابق الثاني والستين

obeikandl.com

في الطابق الثاني والستين

في المنطقة الدبلوماسية بالدوحة التي تُطل على الخليج العربي يُقيم هو الآن، وهناك في أعلى مبنى في قطر يجلس هو في الطابق الثاني والستين من فندق "كمبينسكي" بجناح شهر العسل، لكن بلا عروس تُذيقه من عسلها ويرويها من عسله! هناك فقط مهمة عمل عاجلة اقتضت سفره لـ"قطر" ولم يجد حجزًا إلا في هذا الطابق وهذا الجناح.

في الأيام الماضية كان يقضي ساعات النهار في العمل، أما الليل فبين ناطحات السحاب يتحدّث إلى خطيبته عبر الهاتف ويتخيلها معه في جناح العسل! هي حتمًا أجواء مُحرّضة على التخيل وعلى الحب وعلى الحلم بالذوبان في روح الحبيبة حتى يثمل من كل قسماته.

أمّا اليوم فهي هنا في "قطر" جاءت لتفاجئه بحضورها.. هي الآن تصعد للطابق الثاني والستين وتنتظر بشغف أن ترى الفرحة في عينيه..

فتقبلها بقبول حَسن وطلّت الفرحة من عينيه الطيبتين، وأقبل عليها يُقبّل عينيها العسليتين.. ويُراقصها حتى مطلع الفجر.. ساعات من

الدوران دون أن يتعب أيٌّ منهما.. وكأنهما جسدان من نور.. وزنهما من حبات الضياء ونسمات الحب الصافي الذي يعرش أيضا على أسرتهما.

شهدَ شروق الشمس على زواجهما وشهد الله على نجمين مُتحابين في هذا الكون الواسع.. من سماه العلى كان سبحانه يؤرخ حبهما ويوثقه في دفاتر القدر.. بينما ينظران إليه سويًا من نافذة الطابق الثاني والستين.

obeikandl.com

وَتَقَطَّعَت بِهِمُ الأَسْبَابُ

obeikandl.com

وَتَقَطَّعَت بِهِمُ الأَسْبَابُ

تستمع إلى مقطوعة "الحب أيضًا يموت" للموسيقار "عمر خيرت"، وهي تردّد في أعماقها (حتى الحب الفطري قد يُقدّرله الموت مع القسوة المُتكرّرة واللغة المُهينة والإصرار على فرض الرأي في أمور مصيرية لا يُجدي معها الفرض والإجبار.. بل قد يُفضّل المُحب أن يموت هو على أن يرى أسباب الرحمة وأواصر الحنان تتقطع بينه وبين من يحب، فتذبل سنوات العمر الجميل الذي قضياها معًا في رحاب حب هادئ وتفاهم نبيل).

كانت علاقتها بهم استثنائية لأبعد مدى، وكانت تتلقى ضمانًا من لدن أسرتها بأن يكونوا لها عونًا وبأن يغفروا لها زلّاتها حين تكبر وحين تشرع في أخذ طريقها في الحياة ومع المواجهات الأولى اكتشفت أنها مكبلة بحزمة من اللاءات الرافضة لأحلامها اليسيرة ومقيدة بأصفاد مجتمع يلبس جبة القداسة.

بدأت تشعر أنها غريبة حتى وهي تعيش في كنفهم، مُهاجرة وهي في حضن الوطن.. كلما تناست أوجاع الصفعات والركلات التي تلقتها

يُعاودها إحساس سروالها المُبلل في لحظة فقدت فيها التحكم كالأطفال.. ودمعت وصرخت مثلهم أيضًا.

تخجل أن تبوح بضعفها وانكسارها حتى لصديقاتها القريبات لذا تحاول دومًا بينها وبين نفسها التخلص من ذكرى ذلك اليوم الذي تلقت فيه جرعات إضافية من العنف الجسدي والنفسي لمجرد إصرارها على الخروج في مظاهرة لنصرة الوطن المُتشبّع بالمظلومين والمعدمين بفعل الطغاة منذ 60 عامًا وأكثر.

والمظاهرة أصبحت مظاهرات حتى قامت ثورة انتصر فيها الحق وانتصر كل خائف على ضعفه وفتحت الباب لتهرب هي الأُخرى من سجنها وجبنها.. أحست بارتياح طاغ وهي تلتحم بالناس المحتفلة في الطرقات حتى أذان الفجر وأشرقت الشمس والكل في شوق لنهار يوم جديد.

الثمن يُدفع مُقدَمًا

obeikan.com

obeikandl.com

الثمن يُدفع مُقدّما

يتهمونه بالبذاءة ويعيبون عليه استخدامه لأقذع الألفاظ في نقده لأحوال الناس بما فيهم نقده لنفسه، لكنهم لا يعيبون المُتسبّب الحقيقي الذي أوصله وأوصل غيره لأعتاب السخط وربما الجنون، تمامًا كما لا يجرأون على اتهام أنفسهم ومصارحتها بنواقضها كما يفعل هو!

في تمرّده، هو نجيب سرور ولكن في زي رسّام أداته القلم الرصاص وألوان يُحاول بها إعادة صياغة الحياة على لوحات شبه مُمزقة كضمائر البشر..

وفي الحب، هو رجلٌ قادرٌ على فهم الواقع جيدًا من فرط ما شاهد الناس يموتون ويتعذبون بسبب المشاعر النبيلة في مجتمع كافر بالحب المُنزّه ومؤمن فقط بعقود الزواج التي تؤسّس لفكرة بيع وشراء عواطف البشر بمقدّم ومؤخر وقائمة عفش..

لم يعد يتخيل أنه من الممكن يومًا ما أن يكون زوجًا وأبًا.. لقد سأم حتى من مجرد فكرة الخطوبة، تلك الفترة التي تكون عند الأوروبيين

هي فترة سعادة وارتفاع فوق السحب، وعندنا نحن في المجتمع العربي هي فترة دفع مُقدم على سبيل العربون لسعادة مُحتملة!
ورغم إدراكه المُبكّر أن حتى كلمة "السعادة" أصبحت مُبْتذَلة أشَد الابْتِذال، فإنه كان يُردّدها في أعماقه ويبحث عنها حوله علّه يجد شيئًا من بقايا معناها.

حانقٌ هو دومًا على سائر الأوضاع المأساوية وحالات الظلم في هذا العالم، يُناقش الجميع بروح إله مسئول مسئولية الصانع عمّا في هذا الكون بأسره من خيرومن شر.. ولكن بلغة مخلوق تعيس حدّ التعب وإنسان غاضب لإنسانيته التي تنتهك من قبل هذا الوطن البائس.. يهزأ بالتقاليد البالية ويُجاهر بهذا؛ لأنه لا يريد أن يبدو للناس بوجهين يلعن أحدهما الآخر! وكثيرٌما تساءل:
لماذا لا يكون الحب وحده أساسًا للزواج؟!

لماذا لا يكون الزواج حرًا من اعتبارات المال والشبكة والجهاز والوضع الاجتماعي لكل عائلة من الطرفين؟

يُؤمن "عبد الرحمن" بأن الحب وحده يُسكرنا فننسى كل شيء إلا هذا الشخص الذي سنرتبط به ونعيش في رحابه سنوات العُمر..

هـذا العـام يُفترض أن يـتمَّ الثلاثـين مـن عُمـره، يـتم سـنواته الثلاثين وهو يشعر بتدهور رهيب.. علامات صغيرة لا تكاد تذكر ويعلم أنها سـتتفاقم وتتفـاقم بـبطء مُرعـب لا يُلاحـظ ولا يُرى، وهـذا مكمـن خبثهـا.. علامـات لأمـراض في الجلـد والشـعر والأسـنان، وفي الصـداع اليـومي، وفي النـوم الـذى صار رفاهية.. وفي الاكتئاب الـذي كان عارضًا فأمسى أبديًا، وجزءًا أصيلاً منه كالعين والأذن والقلب والعظام.

في السـنوات القادمـة سـيزداد الهـدم على حسـاب البنـاء.. وبـذلك الـبطء المخيـف سـيتحوّل جسـده -الـذى يُفترض أن بـه يُمـارس إرادتـه ويصـنع بـه كيانه في الحياة- إلى عـبء.. عـبء حقيقي يرغـب بـالتخلص منـه، بل بـات يشعر بأن جسده لا يمت إليه بأية صلة.. فيتساءل:
هل النفس هي الجسد؟ أم هي جزء منه؟ أم هي مستقلة عنه كُليّة؟

لا يعلـم الإجابـة، ولكنـه يعلـم أنـه يريـد الخـروج مـن جسـده والاسـتقلال عنـه، ولكـنْ لا يعـرف وسـيلة للخـروج منـه غير المـوت وغير الأجواء التي يعيش فيها بخياله!

خيالـه دومًـا هنـاك.. في جروبي بوسـط القـاهرة عنـد سـاعات المساء الأولى، يشرب البيرة المثلجة ويدخن لفافة تبغ "جولواز" على أنغام فرنسية تذاع في الراديو خريف عام 1970..!!

هذه هي الأجواء التي يطيب له أن يرى نفسه فيها وهذا هو الزمان الذي يريده لنفسه ولو من حين إلى آخر.. رغم أنه إنسان مُعاصر بكل ما تعنيه الكلمة!

مُتأثر هو بالأجواء التي عاش فيها والده، عندما كان في العشرينيات من عُمره.. دفتر رسومه وأوراقه المُتناثرة عندما كان طالباً بكلية الهندسة وفي بداية حياته، خاصة أعماله التى رسمها يومَ كان في فرنسا، عندما سافر مع الكثير من الشباب ليقص العنب في مزارع الكروم هناك، ثم يعود ببعض الكلمات الفرنسية وعلبة تبغ "جولواز" وغيره، بالإضافة لأدواته الهندسية والفنية التى استخدمها وقتما كان طالبًا.

حين توفى جدّه، بكى "عبد الرحمن" كما لم يبكِ من قبل، لم يكن يدرك هل كان يبكي حقًا لفراق جدّه، أم لأنه أب لأبيه الراحل، أم كان يبكي على نفسه.. وربما للثلاثة معًا!

جلس في غرفة الجدّ، وشرد مُتأملاً ثياب جدّه ومتاعه القليل، الذى لا يزيد على الأدوية إلى جانب طاقم أسنان ومذياع، ورقمَيّ هاتف كُتبا بخط كبير على الحائط، ثم تذكر أنه من الخطأ التواجد في غرفة المتوفى حديثاً.. لعله يعتبر سبب ذلك أن الميت لا يزال حيًا، ولا يجوز

إزعاجه.. آنذاك تذكر غرفة أبيه التي ظلت مُغلقة بعد رحيله لفترة ربما زادت على الشهر أو الشهرين.

الخوف من التواجد في غرفة جَدّه أوقظ في داخله رغبة مُلحَّة في أن يتواجد وأن ينام في غرفة حبيبته طمعًا في لقاء ولو مُجرد طيفها.. فقط طيفها قد يُعيد له الاتزان والأمل و يُبدّل خوفه لطمأنينة..

فمشاهد الموت ورحيل الأحبّة تعيده دومًا إلى عينيها الواسعتين اللتين تطلان من وجهها الشفاف.. التي كان ينظر إليهما نظرة اللقاء الأخير وقال لصاحبتهما مُودعًا:

-هل كان الأمرُ حُلمًا أم وهمًا؟ هل كنت أحلم يا "نهى"؟ أم أن حياتي بأكملها لا تزيد على حلم، أو كابوس طويل لا يصحو منه المرء إلا بالموت؟ وهل الحب حلمٌ أم كابوس؟

ثم استطرد في انكسار:

-وداعًا يا طفلتي الحبيبة!

ألقاها على مسامعها وهو يتناءى عنها مُتئدًا مُضطربًا.. وبمقدار ما يحمله من الحنق والأسف والاستنكار بمقدار ما أراد بعدها لو يبصق في وجه الإنسانية وفي وجه المجتمع الذي حرمه حبيبته التي يهواها وحرمه العمل الذي يليق بفنان مثله..

رحلت "نهى" وبقيت له عُقدةَ الذنب تطارده تجاه كل من أحبّ، وأولهم أبيه الراحل، الذى مات معه جزء منه يوم مات.

عُقدة ذنب حتى تجاه ثورة شعبية أحيها ولم تؤت ثمارها.. كان يعتبرها دينًا جديدًا له اعتنقه وشارك فيه بإيمان عميق ثم كفر بما كان يعبد بعد ما تحولت المصلحة الوطنية لمصالح شخصية.. السُباب المجنون الأعمى، الذى يتبادله الجميع، وبلا سبب حقيقي أو معقول أو مقبول، إلا البحث عن صنم وهمي بلا وجود ليضيفوه إلى "أمجادهم التليدة".

كان الميدان وطنًا وملجأ، عرف فيه الكثير من المصريين ما لم يعرفه قط عن نفسه وعن الآخرين، وُلدت فيه صداقات متينة بين أفراد من عقائد وطبقات وأفكاروتوجهات مختلفة بل مُتعارضة أشد التعارض، وعشرات بل مئات من قصص الحب.. كل بقعة فيه حملت لأغلب المشاركين قصة لا تنسى.

أمّا الآن فهو مرتع لكل مُدّعي الوطنية، ولكل بائع جائل، ولا بأس أيضًا ببيع المخدرات في الخفاء! ولمن رفعوا شعارات.. هم كانوا أول من ينهال بالسُباب على هاتفها، فقاموا بتحريفها ومسخها كي تتناسب مع ظروفهم التي تغيّرت عندما صاروا أسيادًا بعد أن عاشوا سنوات الحظر والاعتقال ثم

انقلبت الآية عندما انقلب الجميع عليهم فعادوا لسابق عهدهم بعد أن هُدمت بيوت يُذكر فيها اسم الله وأُحرقت المنشآت وسُفكت دماء الأبرياء منهم ومن غيرهم!

الآن بعض الثوّار يُحاولون النسيان في حانات وسط البلد المعروفة، والبعض فضّل الانكفاء على نفسه مُحاولاً الهروب من صور الشهداء التى تطارده يقظة ومنامًا.. أما "عبد الرحمن" فمازال هناك في "جروبي" يحيا بين أطلال والده وحبيبته ووطنه! وأيام لا تزال مُرتسمة في الذاكرة سارية في الدم والجوارح.. يهمس لهم:

كم أُحبك يا أبي!

كم أحبك يا "نهى"!

وكم اشتقت إليكِ يا مصر!

obeikandl.com

obeikandl.com

مِسك الليل

obeikandl.com

obeikandl.com

مسك الليل

كانت تحاول ضبط اتجاه التكييف فوق مقعدها بالحافلة وإذ بيد أخرى -تمتد من المقعد الخلفي- تسبق يدها لتعاونها.. التفتت وراءها لتشكر صاحب اليد الحانية، فرأت عينيه العميقتين تبتسمان لها في دفء عجيب أدهشها، فابتسمت لهما في امتنان، ونسيت كلمة الشكر، ونسيت هواء التكييف الذي كانت تريده، ونسيت حتى وجهتها التي من أجلها استقلت الحافلة.. لكنها تذكرتها بعد أربع ساعات حين اتصلت بها أختها الكبيرة لتسأها كم تبقى حتى تصل إلى "الطور"؟

في الحقيقة، لم تكن تريد أن تصل أبدًا إلى أي مكان سوى عينيه اللتين غمرتاها بالأمان منذ اللحظة الأولى.. كانت تتمنى لو تمضي بقية عمرها هكذا إلى جواره -كالأربع ساعات الفائتة- حتى وإن لم يتحدّثا وإن لم تعرف حتى ما اسمه! ساعات لم تسمع فيها سوى صوت أنفاسه وتململه في المقعد من طول ساعات السفر وتصفحه لجريدة لم تلتقط حتى اسمها.. ساعات شغلت نفسها خلالها بمُطالعة رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لـ"الطيب صالح"، وبأن تضع بقلمها خطوطًا تحت ما يروق

لها من تعبيرات "الصالح" الأدبية.. حتى ذهبت لعالم جميل من الأحلام وهي مُغمضة العينين..

حَلمت أنها صارت زوجة لرجل الفردوس صاحب العينين الدافئتين، وصار لديها أسرة سعيدة بعد أن عرف الحب طريقه لقلبها.. تحلم بكل هذا رغم أنها لا تعرف حتى كيف هي نبرة صوته كي تتخيلها كما يليق بجلالها!

ووصلت الحافلة إلى خط النهاية، وتفرق جميع الركاب ولم يتبق سواها في ساحة المحطة تنتظر أن تأتي إليها أختها لتأخذها.. رآها رجل الفردوس فعاد إليها من البوابة حين لمحها وحدها وسألها إن كانت تحتاج لمساعدة فشكرته على اهتمامه ومن بعد على كونه بقى بجوارها حتى تأتي أختها.. ومن شجيرة مُجاورة في الساحة الواسعة قطف مسك الليل وأهداها إياه وهو يستجمع إرادته ليتحدّث.. وتحدّث إليها قائلاً:

-أود أن أطلب منكِ شيئًا لكن أخشى أن تسيئي تأويله.

قالت:

-تفضّل!

فقال وكأنه يستجديها:

-أريد رقم هاتفك؟

فرحت لكن تردّدت.. فإذا أعطته رقمها ربما يعتقد أنها فتاة مُتساهلة، وإذا لم تعطه رقمه فلن تكون هناك وسيلة يصل بها إليها.. كان خوفها منه ومن الأفكار المنتشرة في المجتمع أكبر من خوفها أن تفقده للأبد. تسمع هي بأن العلاقات التي تبدأ بسرعة تنتهي أيضًا بنفس السرعة وربما أكثر! وأن الحب الذي يبدأ بقوة منذ النظرة الأولى غالبًا ما ينتهي بوهن في اللحظات الأخيرة.. وتعرف من حكايات صديقاتها أن الرجل العربي يجري وراء من تتمنع وترفض لقاءه -حتى وإن كانت تحبه- ويُجافي من تتودّد له.. يُجافيها ويفترها -حتى وإن كان يُحبها حقًا- إن نزعة الرجل العربي ذي العادات والتقاليد المعيبة.. أقوى لديه من نزعة الحب والفطرة الإنسانية السليمة.. وهي أيضًا كذلك.. لذا.. انتصرت للعادات والتقاليد فأجابته:

-معذرة، لا أرى معنى للتواصل بيننا!

فقال وهو يُعاني حرجًا شديدًا:

-أعتذر لكِ سيدتي.

بذات البساطة والحدّة، انتهى الأمر!

لكنها مازالت تُغمض عينيها من حين لآخر لتحلم به ولتحاول الإبقاء على ملامحه من عث النسيان.. ومازالت من حين لآخر تعاتب نفسها بقنوط بالغ قائلة:

-ليتني أعطيته رقمي!

مازالت لا تعرف كيف يجب أن يكون رد الفعل في هذه المواقف! تتعقل وتجابه الشعور بالفقد والحرمان أم تندفع لتنعم بهبة الحب وعطاياه الكريمة.

obeikandl.com

المقام الرفيع

obeikan.com

obeikandl.com

المقام الرفيع

في المطار فوجئت بملامحه -بكل ما لها من جلال- تطلُّ عليها وتدنو منها فأصابتها الدهشة وسعدت لمجيئه من أجل وداعها قبل السفر، ودُهشت أكثر عندما أخبرها بأنه ألغى كل أعماله وحجز تذكرة هو الآخر على الطائرة المُتجهة إلى ألمانيا ليبقى بجوارها في رحلتها! فقالت له:

-شكرًا ولكن هذا كثير!

فقال وهو ينحني لها كأمير قادم من أساطير الحب:

-العفو يا صاحبة السعادة.

لم يَعبأ آنذاك بنظرات المُحيطين به في المطار، وهو ذو الوجه المعروف في برامج "التوك شو"، وهو صاحب المقام الرفيع الذي ينحني له العشرات يوميًا عند فتح باب السيارة وباب المكتب وباب المنزل وكل الأبواب التي لا تجرؤ أبدا على الغلق في وجهه.

لم يَعبأ آنذاك بأن ينحني لها ويسير بصُحبتها أمام الجميع ففي البدء يكون التهوّر هو سمة الحب.. وتكون الرغبة في اكتشاف الآخر في أوج درجاتها أيًا كانت النتائج.

منذ ذلك اليوم تغيرت حياته.. ربما كان التردّد مُمكنًا فيما مضى.. في بداية تعلّقه به وقبل أن يُلقي بنفسه في هذا التيار.. أما الآن فهيهات أن ينساها أو يتناسى حلم الاقتران بها لتعويض العمر الذي مرّ سُدى دون حب يملأه الدهشة والترقب والبهجة.. وقد تقاسما الكثير من لحظات البهجة في مدينة ميونخ الألمانية. وقد طمح في المزيد من البهجة فقال لها:

-أحبك.. أحببتك منذ اللقاء الأول والنظرة الأولى.. أحببت فيكِ الصديقة المنصتة التي كنت أنتظرها منذ سنوات.. أحببت فيكِ مصركما أتمنى أن أراها بعد سنوات.

وصمتت طويلاً. فأردف قائلاً:

-هل أدهشك اعترافي لدرجة الصمت المطبق؟

فقالت في همس: وأنا أيضًا أحبك يا عمرولكن...!

وأراد أن يتمادى في سعادته فوضع يده اليمنى فوق شفتيها هامسًا:

-أحبيني دون "لكن"!

وبكت "غادة".. لم يتحمّل أن يرى دموعها.. أراد أن يحتويها فضمها إليه وهو يقول:

-لا شيء يستحق دموعك يا "غادة".. ولا حتى أنا.

وأوصلها لباب غرفتها في الفندق وقال لها وهو يُهدهدها:
-اهنئي بنومٍ هادئ سعيد يا صغيرتي.. ولا تبتئسي من أجل "لكن" هذه، فمثل قلبك المرمري لا يجب أن تشوبه إلا عروق بيضاء نقيّة لا يشغلها إلا الحب والخير.

في البدء، كان يقترب منها في تردّد، وحرص على ألاّ يخدش قُربه منها هالة الوهج التي يُحيطه بها المجتمع والناس. كان يهوى الوقوف على ضفافها لساعات كأنه طير من طيور البحيرات.. وكان يَقبل -عن طيب خاطر- مجرد قبولها بالحديث معه عبر الهاتف كما يتقبّل الفقراء معونة الشتاء ويسعدون بها.. وكانت تخشى القرب منه، وكثيرًا ما تراجعت عن مُجرد أن يكون بينهما تبادل سلامات وأن يطمئن كل منهما على الآخر.. كانت تخشي ذلك الحاجز الذي قد يفرق بينهما كما فرق- من قبل- بينها وبين حبها الأول.

لكن تكرَّر اتصاله الهاتفي بها حتى أصبح عَادة يومية على مدى شهرين.. وسقطت الألقاب بينهما سريعًا.. وفي تلك الأثناء عَرف الكثير عنها وعَرِفت الكثير عنه، وكرّر طلبه في أن يلقاها ثانية!

وذات يوم فوجئت بسؤاله لها عبر الهاتف:

-لماذا كل هذا التردّد.. هل تخشين أن تحبيني مثلاً؟

فقالت مُدافعةً:

-بالتأكيد لا.. فلن أحبك أبدًا ومن المؤكّد أيضًا أنني لن أكرهك.

فقال غاضبًا:

-قلت إنك لن تحبينني، فليس مهمًا أن تكرهينني.

قالت في رقةٍ بالغةٍ أرادت بها الصُلح:

-لكنني لا أنكر أنّ تواصلنا الدائم على مدى الشهرين الماضيين دفع روحي للتعلّق بروحك.

فقال بلهجة مُحاضر عالمي اعتاد إقناع الجماهير:

-وما التعلّق بالروح والنفس غير الحب!

وقرّرت أن تلتقيه فقط لتحسم الأمر معه -ومع نفسها أيضًا- وربما سعيًا وراء إعادة التوازن إلى ذاتها الحائرة! فبادرت هي بالاتصال به للمرة الأولى، وسعد باتصالها وبحديثها إليه وهي تقول في خجلٍ:

-سألبّي طلبك بأن نلتقي، ولكن عقب عودتي من مؤتمر طبي في ألمانيا.. سأسافر مساء الغد وأمكث هناك ثلاثة أيام فقط. وجاء مساء الغد.. وفاجأها بوجوده في المطار. قاربت رحلة ألمانيا بينهما وكانت كلما اقترب منها خطوة، عمق الحزن في داخلها خطوات.. ورغم ذلك كثيرًا ما توجهت

بالدعاء لله حتى يُضاعف حبها لهذا الرجل أضعافًا مُضاعفة.. وكلما لاح بخيالها حاجز الوصول إلى عقد الرباط المقدس فتزيل الحاجز من رأسها وهي تقول لنفسها: (إن كان الزواج نصف الدين فالحب هو الدين كله).

عادا إلى أرض الوطن ولازم الصمت حينًا في مُحاولة منه للتروّي في الأمر. لم يمر سوى أيام قليلة إلا ووجد نفسه مُسوّق إليها فاستقبلته وكأنها تستقبل الحياة من جديد.. ومضى -بينه وبين نفسه- يتأسّف على ما فاته من حبٍ وسعادة طيلة عمره..

-هل أتزوجها؟

أرّقه هذا التساؤل.. فهو حريص ألاّ يتعرّض مشروعه السياسي الذي بناه في سنوات- لأي تهديد حتى ولو ضحّى في سبيل ذلك بسعادته، وكان يرى في هذا موقفًا وطنيًا يستدعي منه جُل التضحيات.. يفرغ من السؤال فيهزّ كتفيه كأنه يُنفض عنه هواجسه.. وقال بصوتٍ خافت كأنما يُناقش ضميره:

-ألم أقل يوما أن (على مَن يَرُوْمُ الحب أن يكون أكثر جُرأة في مُواجهة المعوقات ومُواجهة الأفكار العتيقة!)

وقد تكرّر طلبه في الابتعاد ولبّت طلبه.. وفي كل مرةٍ كانت يعود إليها تستقبله دومًا في صفحٍ ودون عتاب.. وكيف له أن تُعاتبه وهو لا تقوى على مُعاتبة ذاتها فلكل نفس بشرية هنَّاتها ولا أحد يستطيع أن يدّعي الملائكية!

وتساءلت هي في بكاء: لماذا تظهر مشاعرنا بوضوح أكثر كلما حاولنا إخفاءها؟ ولماذا نُحب كلما حاولنا أن نكره؟ لماذا تهزمنا الطبيعة البشرية دائمًا ونخرج من كل المعادلات المنطقية خاسرين ومجروحين؟ لماذا نصل مُتأخرين عندما يقتضي المشوار مواعيد حاسمة؟

لقد كان القدر يُتابع حيرتها وحيرته عن كثب، ولكنه همس في أذن كل منهما قائلاً في رفق: (لأذرنكم في الحب تعمهون)!

وفطنت لمشاعره وتفكيره في الابتعاد ربما لأنه لن يستطع الاقتراب أكثر، فقالت لنفسها مُتسائلة:
-ما السر الذي يجعل البشر يُجيدون التحطيم دائمًا؟.. تحطيم كل المعاني السامية وكل الصور الجميلة للحياة التي تلتقطها بعدسة عينيك في لحظة أمل.. يُجيدون تحطيم حتى تلك التماثيل التي تبنيها لهم في أعماقك.. وفي لحظة تنوير قد تكتشف أن حبكَ لهم كان أكبر من قدرتهم على التصديق وأن إيمانك بهم لا يحتاج لأدلة مادية من جانبك بينما هم

غارقون في المادية وكافرون بالمثالية وبك! تُدرك هي أن مهنته كسياسي علّمته التحايل على الموقف وغض البصر عن الحقائق وطمس هوية القلب لصالح العقل! وعلى الفور تخلّصت من رقمه المسجّل على هاتفها كأنها تتخلّص من ذنبٍ اقترفته وندمت عليه.. كانت تتمنّى لو تكرهه وتتمنّى أكثر لو يُحبها حتى الثُمَالة. فقد كان يُصالحها على الحياة وعلى البشر.. كانت تتلّقى منه دروسًا في الحكمة. ولم يستطع أن يتجاوز عاطفته نحوها، بل ظلت دائمًا في ذاكرته من أجمل الذكريَات. لذا؛ عاد هو هذه المرة طالبًا حبها وعفوها وزواجها.. غير أنها رفضت قائلة:

-ارحل عني؛ فأنا أكرهك!

ورغم إحساسه بأن رد فعلها العنيف هذا كان أكبر إرهاصة على أنها تُحبه وتتمنّاه كما يُحبها ويتمنّاها، فإنه غضب لرجولته ومقامه الرفيع هذا الذي أكسبه حصانة اعتاد بها أن يُعامله الجميع كما لو أنه إله أو نصف إله.. وبهذه الحصانة ابتلي بأمراض الشخصيات العامة في العالم العربي.. لكنها لازمت الصمت فهَاله الأمر وقال لها مُتبرمًا:

-عقلك كبير في جوانب كثيرة، لكنه عقل به النَّزَق الأنثوي أيضًا.

ربتت على كتفه لتُهدهده وتعلّقت برقبته وهي سادرة في صمتها.. كانت تنتظر بعد رفضها أن يُحاول إقناعها وطمأنتها لكنه لم يفعل

وانسحب في هدوء كعادته عند كل وداعٍ. ولم يلتفت لهما القدرولم تأبَه بهما السعادة، فقد انتظرت أن يعود لها ليُحقّق أحلامها البسيطة التي وعد بها.. كأن يُوقظها عند كل صباح لتكون ملامحه هي الشمس التي تشرق لعينيها، وأن يُعدّ لها القهوة بيديه كحدث استثنائي! فقد تعوّد أن يخدمه الجميع لكنه كان مُستعدًا لأن يخدمها هو.

وقد انسحب شهر منذ الوداع الأخير، وآخر أتى، وهو في قلبها حيٌّ يُرزق الحب.. شهرٌ جديدٌ من عُمر مَعرفتهما يُشرق وهي مازالت تنتظر عودته لتُخبره بأنها كانت مُستعدة أن تمنحه شمسًا أكثر دفئًا ووضَاءَة، وأن تُذيب سُكّر شفتيها في قهوة استثنائية يَرتشفها حتى يرتوي.. ومع مرور الوقت ارتاحت لهذا الخيار في الرفض، ولهذه الخسارة الجميلة التي صالحتها مع أعماقها وأنستها تهوّرها مع صاحب المقام الرفيع!

لقد توهّمت أنها تحبه حقًا، وتوهّم هو أن مقامه الرفيع يتعارض مع زواجه من فتاة لأب مسجون، وكانَ كِلاهما مُخْطِئًا!

رولیت

obeikandl.com

روليت

مَظهرهُ يَحوطهُ الوقاروالهدوء الجميل.. وملامحه من الجلال والهيبة ما لا تصفهُ الكلمات.. بشرته سمراء وكأنّ الشمس قد وقعت في حُبه فأخذت تُغدق عليه بأشِعَتها.. وكغزو الأمريكان للعراق بدأ الشَعرُ الأبيض يغزو رأسه ليَحتل شبابه رغمًا عنه ودون أمل في التحرّر.. وبعينيه الخاشعتين تطوف نظرة لامعة.. أما صوته فسيمفونية مُتسقة ورائعة.. صوت يتحدّث دائمًا عن الأمل وعن الطموح وعن حلمه في تغيير العالم.. ربما يدفعه إلى ذلك تشبّثه بالحياة أكثر ممّا يدفعه إليه طاقته على الحياة نفسها!

وهي لا تعرف هل تلومه أم تلوم قلبها أم تلوم روح "يوسف إدريس"؟! فقد كان اللقاء الأول بينهما في ندوة ثقافية بمناسبة الذكرى العشرين على وفاة الكاتب الراحل يوسف إدريس، ومنذ اللحظة الأولى والبسمة الأولى والمشاكسة الأولى اتحدتا روحيهما وأصبحتا في رِبَاط مُقدّس وإن كانا لم يُعلنا هذا.. بل على العكس عندما قدّمتها له إحدى صديقاتها أعلنت هي له في ترفّعٍ وكبرياءٍ لا داعي لهما:

-في الحقيقة، أنا لا أحب يوسف إدريس وغير مُهتمة بفن القصة ولا حتى بالروايات إلا أنني أتذوّق الأدب ويروق لي الشعر ولم آت إلى الندوة اليوم سوى لمرافقة صديقتي!

فابتسم ابتسامة فيها تهكم وفيها إعجابٌ في آن واحد وقال من طرف فمه:
-إذن فاتك الكثير.. فالأدب كل الأدب يكون في القصص والروايات ولو كان بيدي لمنحت يوسف إدريس جائزة نوبل فهو أبو كل هذه الفنون.

واستمر لدقائق طويلة يتحدّث بلا انقطاع عن إبداع يوسف إدريس في فن القصة وهو -في حديثه- يَتنقّل بين أفكار قصصه مع ذِكر عددٍ هائلٍ من أسماء هذه القصص.. حتى خُيّل إليها أنه يعرف عن "إدريس" ما لم يكن يعرفه "إدريس" عن نفسه!

وعندما تحدّث عن الحَنان الأبوي في قصة "اليد الكبيرة".. علاها الارتباك وأحسّت بشعور عجيب وهي تقف أمام قامته الفارعة ومنْكَبيه العريضين وصدره الواسع.. شعرت لوهلة أنها بحاجة إلى أن تخفي نفسها فيه.. تُريح رأسها على هذا الصدر وتبكي كطفلة بلا مأوى.
وكما ملأ "إدريس" الدنيا قصصًا وحكايات ومسرحيات ومقالات في حياته، فقد ملأ حياة هذه الفتاة وهذا الرجل حبًا وجنونًا في مماته.

بعد هذا اللقاء وهذه الصدفة مكث مُسَهَّد لأيام طويلة يُفكّر فيها دائمًا ويُحاول ألاّ تسقط ملامحها من ذاكرته، وكان القدر كريمًا معه لأقصى درجة، فمنحه نعمة أن يراها كل ليلة في أحلامه كلما تسنَّى له اختلاس ساعات قليلة من النوم.. أما هي فمكثت تبحث في المكتبات عن المجموعات الكاملة ليوسف إدريس مُعَلِّلَة ذلك لنفسها بأنه من باب اكتشاف ما الذي يُغري كل هؤلاء في فن القصة وفي يوسف إدريس تحديدًا؟!

ذات صباح قرّر أن يبرأ من فتنتها التي اختطفته من عالمه الرتيب فبدأ في الترفّع عن الاهتمام بها وأن يُعوّض نفسه بالانشغال بمَن حوله مِن النَّاس.. لكنه في المساء ذاته طلَّ بصوته على صديقتها التي يعرفها عن قُرب، وفي لهجة رَجاء مُغلّف بالكبرياء طلب منها رقم صديقتها التي لا تحب يوسف إدريس!

بحصوله على الرقم أحسَّ وكأنه حصل على تغيير العالم الذي يرنو له منذ زمن.. واتصل بها وسمعها تقول في صوتٍ كأنه حفيف ملاك رحيم:

-آلو؟!

فأجاب بعد أن غاص قلبه في أعماقه:

-آلو.. آنسة مريم؟!

وصمتَ وصمتت، ثم تنبّه فجأة، فقال:

-أنا محمود.. المُغرَم بيوسف إدريس..أتذكريني؟

فقالت وهي تتراجع:

-مرحبًا أستاذ محمود.. نعم سيدي أتذكّرك!

فقال:

-وددت فقط أن أعتذر لكِ عن أسلوبي أثناء الندوة، ولكن محبتي لفن "إدريس" قد تُبرّر لي سوء تصرفي.

فقالت في ودٍ:

-لا عليك، فأنت معذور في ذلك لقد التهمت ما يقرب من ألف صفحة من مؤلفاته في غضون الأيام القليلة الماضية.. والفضل لك.

قال:

-ماذا لو التقينا لنتناقش في رأيك الجديد حول فن القصة؟

فقالت في تحفظٍ:

لا أرى أية أهمية لذلك.. أشكرك على كل حال.

وتكرر طلبه وتكرر رفضها ولكن وفي نهاية هذا التكرار التقيا.. التقيا لا ليناقشا فن القصة وإنما لأن بينهما قصة نمت وبات لها أولوية النقاش.

obeikandl.com

زوجات للتصدير

زوجات للتصدير

في ساعة متأخرة من الليل، تجري وحدها وهي تبكي حد الانهيار وثيابها مُمزقة. لا تزيد سنوات عمرها عن الثالثة عشر-هكذا تبدو- فلم تودّع بعد مرحلة الطفولة حتى إن علامات البلوغ لم تكن ظاهرة بعد في جسدها النحيل وملامحها البريئة. تستغيث بأول حانة تجدها مفتوحًة، تدخل إليها، لا تعرف ماذا تقول! فهي لا تتحدّث لغة هذا البلد ولا أي لغة أجنبية أخرى. من مظهرها يفهم صاحب الحانة أن ثمّة مكروهًا قد حدث لها.. فيتصل بالشرطة على الفور.. تصل الشرطة وتصطحبها معها إلى القسم ثم تستدعي مُترجمة، من ضمن المترجمين العرب المعتمدين لديهم. إلى أن تصل المترجمة تجلس "أحلام" أمام الضابط لكنها لا تراه ولا ترى أي شيء سوى الذي يدور في رأسها من أحداث مُتسلسلة أدّت بها إلى هذه الليلة.

كانت البداية في قرية "ميت الكرمة"، التابعة لمحافظة الدقهلية، تعود بذاكرتها إلى شهور قليلة مضت وتحديدًا في اليوم النهائي لامتحانات الشهادة الإعدادية حينما عادت من المدرسة إلى بيتها القروي البسيط وهي فرحة بعد أن أدّت ما عليها ومُستبشرة خيرًا بأن مجموعها سيسمح

لها بالالتحاق بالثانوية العامة ومن بعد الحياة الجامعية.. لكن أمها تستقبلها قائلة: كفاية علام لحد كدا يا ضنايا، أنتِ من النهارده تقعدي في الدار جنب أختك الكبيرة لحد ما ييجي عدلكوا.

تثور "أحلام"، فتقترب منها أختها الكبيرة لتهمس في أذنيها قائلة:
- لا فائدة من الغضب والثورة! أنسيتِ ما فعلاه معي؟! إنهما على قناعة تامة بأن ذلك في مصلحتنا ولن يرضيا بغير ذلك سبيلاً!

تمر أيام ويطرق بابهم "إسماعيل راضي"، أحد أهالي القرية، ليلتقي بـ"عم مرزوق" فيُرحِّب به "عم مرزوق" ويجلسا معًا قرابة نصف ساعة ثم ينصرف "إسماعيل" فتقترب "أم زينب" من زوجها سائلة عن سبب زيارة "الشيخ إسماعيل"؟ فأجابها:
-مُفاجأة حلوة أوي يا أم البنات.. ياما أنت كريم يارب! الشيخ إسماعيل له واحد قريبه في إيطاليا يجي من 10 سنين.. وقاللي إنه شاب عنده 33 سنة إنما إيه؟ طول بعرض ومليان فلوس من شغله في بلاد برا طبعًا.. وقاللي كمان إن الجمعة اللي فاتت بعتله توكيل إن يشوف له عروسة حلوة وبنت حلال.. ويعمل الأوراق وبعدين يبعتله العروسة على إيطاليا لأن ظروفه ماتسمحش إنه ييجي مصر الفترة دي! والشيخ إسماعيل الله يباركله فكّر فينا أول ناس.. وجه يطلب إيد واحدة من بناتنا.

-إنتِ إيه رأيك يا "أم زينب"؟ ندّيله "أحلام" ولاّ "زينب"؟

الزوجة "في فزع":
-يا عيب الشوم! ودي عايزة ماشورة.. طبعًا "زينب".. ولا انت عايز الناس تاكل وشنا لو جوّزنا الصغيرة قبل البت البكرية.

الزوج في استنكار يُغلّفه غضب:
- والله لما الناس تاكل وشنا أحسن لما نبعتله واحدة ماتعجبهوش فيطلقها ونرجع نصرف عليها من تاني.. ودا راجل عايش برا وبيشوف بنات من كل صنف ولون.. وانتِ عارفة إن "أحلام" أجمل من "زينب" بكتير.

في غضون أيام يكون قد تم عقد القران دون أن يعرف أي منهما الآخر دون حتى أن يرى أي منهما صورة فوتوغرافية بأي وسيلة من وسائل الاتصالات التي أتاحها لنا العصر الحديث. وبعد مرور شهور من إتمام تحضير أوراق الإقامة في إيطاليا.. يحجز لها الشيخ تذكرة الطيران إلى إيطاليا لتلتحق بزوجها.

تفيق الفتاة من ذكرياتها على صوت الضابط وهو يستقبل المترجمة المصرية "ناهد فكري"؛ فتهرول الفتاة نحوها، ترتمي بين أحضانها وتبكي كما لو أنها طفلة رضيعة! وما أن تهدأ إلا وتسألها المترجمة في لطفٍ وحنان:

-أخبريني ماذا حدث لكِ؟!

فتُجيبها "أحلام":

-لقد وصلت صباح اليوم إلى المطار قادمة من مصر بعد أن ودّعني أبي وقد أخبرني مُسبقًا أنه بمجرد وصولي إلى مطار "ميلانو" سأجد رجلاً في انتظاري وستكون في يديه يافطة مكتوبًا عليها اسمي كي يُمكنني التعرّف عليه ويُمكنه التعرّف عليّ هو الآخر.

فتسألها المترجمة في استغراب:

-ومَنْ هو ذلك الرجل الذي يَأمن والدك أن يُسلّمك له؟!

فأجابت "أحلام" في براءة ولا مُبالاة:

-إنه زوجي "مجاهد السيد"! وقد تزوّجني بتوكيل كان قد أرسله لأحد أقاربه بمصر!

-وماذا تم بعد وصولك إلى إيطاليا؟

-اصطحبني من المطار إلى المنزل ثم أراني ما أعدّه لي، وما اشتراه من ملابس وطعام، وكنت فرحة لأنني أصبحت في قطعة من أوروبا التي يتحدّثون عنها بالتلفاز ولأنني أصبح لدي ملابس جديدة وبيتٌ لي وحدي.. لكن فجأة وجدته يقترب مني فحاولت الإفلات منه لكنه جذبني نحوه وبعنف فعل بي ما فعل! وما أن هدأ عنفه إلا وجريت فورًا نحو باب الشقة.. فتحته

وجريت.. هربت من وحشيته، واعتدائه عليّ، ظللت أجري بكل ما أوتيت من سرعة إلى أن وجدت أحد المحال المفتوحة فدخلتها واستنجدت بهم قبل أن يلحق بي.

فرمقتها المترجمة بكآبة ولم تنبس، فأردفت "أحلام" بضراعة نافذة:

- والنبي ساعديني في ألاَّ أعود إليه!

امتد الصمت لثوانٍ فعادت تقول في توسّل:
- لا أعرفه ولا يعرفني وقد كان حُلمي أن أستكمل دراستي غير أن أسرتي قامت بتزويجي قسرًا ولم يكن أمامي خيار آخر سوى التصديق على رأيهم خاصة بعد أن أقنعني الشيخ "إسماعيل" أن الأهم -من الناحية الشرعية- هو قبول أهلي بالزوج وليس قبولي ورضاي أنا! كما أنني قلت في أعماقي: ربما يكون سفري إلى أوروبا سبيلي للعلم والحرية والمال الذي يحلم به الغلابة أمثالنا.

فنظرت إليها المترجمة نظرة حانية وقالت بصوتٍ هادئ كنور القمر:
- اطمئني يا "أحلام"، سأكون دائمًا إلى جوارك، لكن من الضروري أيضًا الاستماع إلى أقوال زوجك ومعرفة دوافعه ربما يكون مظلومًا هو الآخر.

فرفع الضابط رأسه نحو السقف كأنما يتسلّى بتأمله ثم أعاد رأسه إلى المترجمة قائلاً:

- الآن.. أخبرينا ماذا حدث لها؟ ومن تكون هذه الفتاة؟

فغاص قلبها في أعماقها وقالت سأروي لكم كل ما قالته، وبالفعل.. قصَّت عليهم قصة الفتاة بكل دقة.

فما كان من الضابط إلا تمتم بإشفاق:

- أتُحرم فتاة صغيرة كهذه من الدراسة ثم تُزوّج بكيفية لا إنسانية ودون حتى أن يُعلّمها أهلها طبيعة العلاقة الحميمة؟!

فقالت المترجمة بنبرة الربابة الحزينة:

- أتفق معك في كون الزواج المبكر جريمة، لا سيما إن كان قسرًا، وتزداد بشاعة الجريمة بالعنف الذي حول العلاقة من علاقة حميمة إلى اعتداء كما هو في حالة "أحلام"، لكن دعني أوضّح لك أن مثل هذه التصرفات ليست سمة من سمات شعب مصر وإنما تنتشر فقط ببعض المناطق الريفية والبدوية نتيجة نقص التوعية.

فتساءل الضابط بحدّة:

- وربما هو دين الإسلام الذي يُبيح بعض هذه الأمور التي تظلم المرأة وتقضي على مستقبلها؟! بل ويسمح بأن يتزوّج اثنان دون أن يرى بعضهما البعض!

فرمقته المترجمة بنظرة خاطفة، كما لو أنها تتساءل عمّا وراء مقصده الظاهر بتشويه صورة الإسلام، وقالت:

- الإسلام أباح حرية الاختيار ولا إجبار في الزواج الإسلامي الصحيح، علاوة على أنه من شروط الزواج أن يرى كل من الطرفين الآخر. كما أن الإسلام دين يحث على حب العلم والدراسة حتى أن أول كلمة نزلت في كتابنا المقدّس "القرآن" هي "اقرأ". أما ما حدث مع "أحلام" فهي إحدى الحالات الاستثنائية المتعلقة بالأفراد وليس بجماعات أو مُجتمع أو دين بعينه.

فسكت مليًا ثم أردف وهو يزفر من الأعماق:

- لقد فهمت الآن.. على أية حال، سنقوم باستدعاء زوجها لأخذ أقواله في المحضر.. لكن اسألها ماذا تريد؟

فبادرته قائلة:

- هل هناك اختيارات مُحدّدة تودّ أن أطرحها عليها؟

فقال جادًا:

-و أرادت العودة إلى أسرتها في مصر فنحن على استعداد لتسفيرها إلى مصر، أما إذا أرادت البقاء في إيطاليا، فإما أن تعود لزوجها بعد أخذ تعهد عليه بعدم التعرّض لها، أو نقوم بإدخالها إحدى دور الرعاية المتخصصة "ملجأ الصغار دون سن الثامنة عشر".

وقامت المترجمة بعرض الخيارات المُتاحة على "أحلام"، فأجابت وهي تسترد شيئًا من الطمأنينة لأول مرة:
- أريد البقاء هنا في إيطاليا داخل أي مكان لا يطأه "مجاهد السيد" بعد أن يكتب تعهدًا على نفسه بعدم التعرّض لي في حال رآني مُصادفة في أي مكان وفي أي وقت.

فقاطعتها المترجمة بوجهٍ لا يَنمُ عن السرور:
- ولم لا تعودين إلى مصر؟! خاصة أن قانون الملجأ يسمح بالبقاء داخله فقط حتى سن الثامنة عشر، بعدها لن تجدين من يرعاكِ يا بنيتي.

فوثبت "أحلام" واقفة وهي تقول بظفر:
- هذا قراري وليكن ما يكن!

وبعد أن أدلت "أحلام" باسم وبيانات زوجها، فقد قامت الشرطة بالكشف عنه في سجل المهاجرين بتلك البلدة لمعرفة عنوانه ومن ثم

استدعائه وقد كان. وما أن دخل مكتب التحقيق ورأى "أحلام" إلاَّ ولاح التعجب في عينيه وغمغم:

- ماذا أتى بكِ إلى هنا؟!

فأمره الضابط أن يدعها وشأنها ثم أردف قائلاً:

- أنت مُتهم بالاعتداء على هذه الفتاة!

فأجاب بالصوت المليء بالثقة:

- إنها زوجتي يا حضرة الضابط!

فاستطرد الضابط قائلاً:

- لكنها أخبرتنا أنك مارست معها العلاقة دون رضاها.

فانتفض الزوج كالملدوغ وهتف:

- يا كاذبة..يا لكِ من مُدّعية آثمة.

فقالت له بصوتٍ باكٍ:

-لست كاذبة وأنا على أتم استعداد أن يتم الكشف الطبي عليّ الآن كي يتأكدوا بأنفسهم!

obeikandl.com

فلكزتها المترجمة لتسكت إلى أن ينتهي الضابط من التحقيق معه، فقاطعهما الضابط وقال بتحدٍ:

- كفى!

فهز الزوج منكبيه العريضين كأنما يقول:

- الأمر لله!

ثم قال بلهجة من يقصد دفع التهمة عن نفسه:

- لقد فعلت بزوجتي كما يفعل كل الأزواج بزوجاتهن، وليس ذنبي أنني لست خبيرًا بالمداعبة ومثل هذه الأمور. فليس لي تجارب سابقة، لأنني أخشى الله وأخاف الوقوع في الخطأ، لهذا فكّرت بالزواج بمجرد أن سمحت ظروفي المادية، وعندما فكّرت به فكّرت في الارتباط بفتاة عربية مُسلمة من فتيات قريتي بمصر.

واعترته لحظة حزن فأدار وجهه نحو المترجمة قائلاً:

- ليس ذنبي أنني وُلدت بين المعدمين مما اضطرني إلى الهجرة إلى بلاد غير بلادي.. ليس ذنبي أنني بلا ظهر وبلا واسطة كي أحصل على تأشيرة حياة آدمية في بلاد النيل.. وأختار شريكة العمر وحدي! صدقيني يا أستاذة "ناهد"، كنت أتمنى أن أذهب لخطبتها بنفسي ونختار سويًا الدبلة والشبكة ونحلم بعش الزوجية كمُعظم المقبلين على الزواج.. لكن ليس ذنبي! ولست على استعداد بأن أعود مصر فيُجبرونني على أداء الخدمة

العسكرية التي تهرّبت منها منذ سنوات؛ فالوطن الذي حرمني من كل شيء..لا يستحق أن أمنحه أي شيء!

ولوهلة أعتقدت المترجمة أن أهل الفتاة ربما درّبوها جيدًا على هذه الأفعال.. أي أنها قبلت بالزيجة فقط لتجد مخرجًا للهجرة من مصر، ومن ثم الانطلاق كما يحلو لها، أو أن أهلها شجّعوها على ذلك كي تخفّف أعباء الأسرة بتخفيف عدد أفرادها..

وبعد أن قامت بالترجمة للضابط فقال واجمًا:
- ومَنْ قال إن إيطاليا أفضل حالاً؟! فالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية قد تغيّرت كثيرًا عمّا مضى، ومِنَ الجهل أن يظل بعضكم يحلم بالوصول إلى أراضينا كما لو أنها جنة الخلد!

فقال الزوج المكلوم:
- نعم، أدرك أن الأوضاع في إيطاليا تغيّرت لكنها تظل أفضل من مصر كما أدرك أن هناك الكثير من الصفات المشتركة بينها وبين مصر، خاصة في أقسام الشرطة التي أُهنت بها في كل مرة كان يتم القبض عليّ فيها بسبب عدم حيازتي لأوراق إقامة رسمية في بداية حياتي هنا..

الضابط في اضطراب ظاهر:

-ماذا تقول..أجُننت؟! فأقسام الشرطة بإيطاليا لا إهانة ولا ضرب بها بل تقديس للقوانين!

ثم دفعه الضابط أمامه وهو يقول:

-سِر أمامي ولا تفتح فمك!

يحتجز الزوج خلف القضبان، وتُنقل أحلام لإحدى دور رعاية صغار السن.. وخطوات شابة تتتشتّت سعيًا وراء مُستقبل أبيض يتحوّل لأخطاء في التقدير لحاضرٍ مُعتم.

وتجد المترجمة صعوبة في الاهتداء لصاحب الملامة مَنْ هو؟! الفتاة الغِرَّة أم الشاب المتشبث قسرًا بأسباب الحياة.. أو ربما هي العائلة المحسورة أو حكوماتنا المحيّرة! شيءٌ مُحزن يندرج بقسوة تحت قائمة بغيضة.. قائمة الأحزان والنكبات والبلايا!

obeikandl.com

obeikandl.com

أثر الندى

أثر الندي

كانت "صفاء" كطفلة خرجت من رَحِمِ الحياةِ حديثًا حينما بدأت الدنيا في عينيها تذوي، وتجف، وتتساقط، ومعها يسقط البعض من نظرها ومن قلبها ومن عقلها. نعم كانت في العاشرة من عمرها، صغيرة، غير أن القدر أخذ يقذفها بأشياء مُوجعة حد الإنهاك! أخذ يُريها نماذج بشرية لا تمت للإنسانية بصلة، وكأنها نماذج مقطوعة من شجرة انعدام الضمير واللافضيلة.

لقد تعرفت على "ليلى" كزميلة لها في المدرسة.. كانت "ليلى" كقطرة ندى لم تسقط بعد على أسفلت هذا العالم الملوث.. أحبتها "صفاء" كأخت وصديقة ودودة لها.. سويًّا لعبتا وسويًا ذاكرتا دروسهما، وسويًّا عَبرتا خط البراءة الطفولية إلى مرحلة النضوج النسبي. بدأت "صفاء" تشعر بحزنٍ غريب في عيني صديقتها الخجولتين، فقد أصبحت نبراتها مقروحة وبروحها جرح يأبى أن يندمل! فسألتها "صفاء" في رفق:

- ماذا بكِ يا صديقتي؟

فأجابت "ليلى" مُنتحبة وكأنها في النزع الأخير من حياتها الراهنة:

- لا عليكِ يا "صفاء"، فأنا بخير أو أحاول أن أبدو كذلك!

وخشية أن تهدم حاجز خصوصيتها، فلم تُقدم على سؤال آخر .. لكن بعد أيام قليلة اختفت "ليلى" من المدرسة ومن كل عَالَم "صفاء"، وعندما حاولت البحث عنها، برفقة زميلاتها الآخريات، عَلِمن أن "ليلى" هاجرت! مرت سنوات طويلة ولم يعرف أحد خلالها إلى أين هاجرت "ليلى"؟ ومتى ستعود؟! لكن "صفاء" مازلت تنتظرها أن تُشرق من جديد وتلوح بالضياء والنور في أرجاء الكون الفسيح.. ربما لا تعلم أين هي طيلة كل هذه السنوات! ولكنها عَلمت السبب الذي دفعها للاختفاء عن البلدة.. كان ذلك جليًا واضحًا على صفحات الجرائد التي صدرت بعد أيام من ابتعادها عن المدينة التي يقطنونها.. عَلمت السبب وأشفقت عليها كثيرًا ! لقد انتشلها أبوها هي وأخواتها وهاجر بهم إلى مدينة أخرى بعد أن تم القبض على والدتها وهي تُمارس الفاحشة مع أحد أصدقاء والدها.. أراد والدها أن يُحافظ عليها من وصمة العار التي لحقت بها، ويصونها من نظرة لها على أنها ابنة "زانية"!

نظرة قاسية.. خاصة في مُجتمعٍ شرقي لا يتسامح أبدًا مع هذا النوع من القضايا، فيدمغ الأبناء وجميع أفراد الأسرة بالعار إذا اقترفت أية أنثى من العائلة الخطيئة. رحلت "ليلى" عن عن عَالَم "صفاء" لكن ملامح قصتها لم ترحل أبدًا عن حياتها، فمازالت تقفز إلى رأسها كلما رأت

قصة أخرى بها شيء من الكذب والخيانة سواء لشريك عمر أو صديق أو لدين أو وطن. لقد ارتبطت بها في غيابها أكثر مما ارتبطت بها في قُربها.. صارت رمزًا يستحق التأمل والشفقة والبحث عن تفسيرات لكل شيء يُحيط بها!

بدأت ترى الحياة من منظور مُختلف وكأنها وُلدت من جديد وتفتح عينيها لأول مرة لترى أشياءً أخرى أبشع من الخيانة، وربما لهذا وجدت عينيها وقد غلب البكاء على لغتها وغطّى على قدرتها على التعبير تأثرًا بكل ما يحدث حولها سواء في نطاق عالمها الصغير أو على نطاق عالمنا الكبير "الكرة الأرضية بما عليها".

وفي ساعات الصفاء تُحاول دائمًا أن تُذكِّر نفسها بأن شيئًا ما يجب أن يتغير في هذا العَالم، ولابد أن تساهم في هذا التغيير! كانت هذه الفكرة تُحلّق دائمًا في سماوات عقلها ولم تدعها يومًا تهبط إلى أرضية التكاسل.

حينما دخلت كلية الطب نشأت علاقة وطيدة بينها وبين الـ"DNA" الحِمض النووي الريبي منقوص الأكسجين أو *Deoxyribonudeic acid* الذي يحتوي على التعليمات الجينية التي تصف التطوّر البيولوجي للكائنات الحيَّة، كما أنه يحوي التعليمات الجينية اللازمة لأداء الوظائف الحيوية لكل الكائنات الحيَّة. وتعتبر وسيلة

التخـزين طويـل الأجـل للمعلومـات الوراثيـة هي الوظيفـة الأساسـية لجزيئات "DNA "، بالإضـافة إلى أنـه يُمكـن مـن خـلال هـذه الجزيئـات الحصول على المعلومات اللازمة لبناء البروتينات وجزيئات الرنا RNA . وتسـمّى قطع "الـدي ان ايـه" التي تحمـل معلومـات وراثيـة يمكـن ترجمتهـا لبروتينات بالجينـاتGenes أو المورثات، كمـا أن للـبعض الآخـر أغـراض تركيبية وتنظيمية.

ومـن خـلال دراسـة "صـفاء" لعلـم الكيميـاء تعلَّمـت أن "الـدنا بـوليمر" يتكـون مـن وحـدات بنـاء تسـمى "النيوكليوتيـدات"، وكـل "نيوكليوتيدة" تتكوّن من ثلاثة جزيئات. وقد فتح هذ الحمض في عقلها آفاقًا غير مسبوقة، فبات مُغرمًا لها علم الهندسة الوراثية *Genetic Engineering*، هذا العلم المنطلق كالصاروخ الذي يُمكنها من خلاله نسخ وتعديل وزرع الجينات. كانت تقرأ المنهج المقرّر ثم تضبط نفسها -في مكتبة الجامعة- وهي تلتهم كل الكتب المتعلقة بهذا المجال. وتساءلت في داخلها:

- أيمكن لهذا العلم أن يُحسِّن أخلاقنا كأن يجعلنا -مثلاً- أقل كذبًا؟ أم أن الأمر لا يتعلق بالصدق أو الكذب بقدر ما يتعلق بالأسس الأخلاقية المبنية على الضمير؟!

فيمكن لشخص ما أن يُخبرنا بصدق أنه قتل أو سرق أو خان.. إنه تعبير صادق عن البشاعة.

صحيح أن الحياة الدُنيا بُنيت على وجود النقيضين -أي الخير والشر- وكلاهما ينبغي وأن يتواجد مع الآخر بنسبة منطقية.. ففي عصرنا الحديث نادرًا ما نرى الخير وأهله.. أي أننا في حالة اختلال وعدم توازن لا حدود لهما ولا تستطيع نفوسنا تحمّله أكثر من ذلك. لذا.. أخذت تُفكّر في حلٍ جذري تُعالج به عطب النفوس وذلك عن طريق مُعالجة "السلوك والفكر والوجدان" وما يتحكم في هذه الأوجه الثلاثة من خلال القدرات العقلية للإنسان التي تعرف بـ"الضمير"، أي ضرورة أن يفعل الإنسان "الحق" لأنه "حق" حتى إذا كان الإنسان وحده ولا أحد يراه فيجب ألاَّ يُؤذي الآخرين. لكن سألت نفسها: من نحن الذين سوف نُعالج؟ وعلى أية قاعدة؟ القوانين تتغيّر من مكان لآخر، ومن زمان لآخر، وحتى القوانين الدينية لا تخلو من إعادة قراءة، وما يقرب من نصف سكان الأرض لا يُؤمنون بالكتب السماوية، وأتباع الكتب السماوية مُختلفون فيما بينهم إلى حد الاقتتال.

وفورًا.. بدأت البحث، وأول ما أدهشها أن الفراعنة هم أول من اكتشفوا "الضمير"! كانت تلك المعلومة في كتاب "فجر الضمير" للكاتب الإنجليزي "هنري بريستيد" وقد استقى معلوماته ممّا كُتب في البرديات

القديمة. ثم كان عليها أن تبحث عن مكان "الضمير" في جسم الإنسان! وجاءتها الإجابة من بعض أساتذة الأمراض العصبية بأنه في "المخ" لأن الإنسان يتعلّم ويستفيد ممّا يتعلّمه.. و"الضمير" يتكوّن ممّا يتعلّمه الإنسان من مبادئ وقيم.. ولأن المخ به عدد كبير من الخلايا وهذه الخلايا لها وظائف عديدة منها ما هو خاص بالإحساس والحركة واللاسيطرة ومراكز التفكير. لكن أحدًا لم يستطع تحديد موقعه داخل المخ! وذلك بسبب عدم فهم المخ الإنساني بالكامل لأنه من الصعب إخضاعه للتجارب.. كما أن الحيوانات ليس لها مُخ مُماثل للإنسان بحيث يُمكن إخضاعها للتجارب في هذا المجال.. أما كل ما سبق وعرفه الأطباء عن المخ البشري فقد كان من الأطباء النازيين حيث كانوا يأخذون المعتقلين ويُجرون عليهم التجارب الخاصة بالمخ.

صحيح أن آلاف العلماء شاركت -فيما بعد- ببلايين الدولارات في تجارب علمية على المُخ خصوصًا بعد ظهور أجهزة جديدة لاكتشاف العمليات الحيوية في خلايا المُخ مثل أجهزة التصوير المعروفة باسم "*MRI Scanner*" بحيث انكشفت بعض أسرار المخ التى ظلّت مُغلقة أمام العِلم حيث إن خلية المخ غير باقي الخلايا في جسم الإنسان فهي مثل مدينة مُزدحمة وليس مُجرد وحدة أو نقطة في الشبكة العصبية.

ولفترة ابتعدت عن هذا الازدحام وهذه التعقيدات، فقد أخذتها المذاكرة التقليدية نظرًا لاقتراب موعد الامتحانات فتركت بحثها هذا جانبًا إلى أن تخرّجت في الجامعة وبدأت حياتها المهنية. وبعد أن لمست عدم رغبة أي جهة علمية في تبنّي مشروعها العلمي الذي يُمكن أن يغيّر الكثير؛ فراودتها فكرة الهجرة إلى إحدى الدول المتقدمة التي تهتم بالإنفاق على الأبحاث العلمية.

وفي نهاية التفكير اهتدت إلى أستراليا، فهاجرت إليها بعد فترة من تقديم طلب الهجرة واستيفاء أوراق الإقامة والمعيشة هناك.. وهناك، وبين جدران المعامل، بدأ الحلم ينمو ويترعرع وهي تُحيطه برعايتها واهتمامها، فقد اختارت العُزلة عن الجميع وعن سائر سُبل الحياة من أجل هدفها. ووجدت مُساندات كبيرة من قِبل كبار الأطباء والزملاء بأستراليا، وذات يوم عثرت على نتائج أبحاث مشكوك في مصدرها، فالبعض أكد لها أنها قديمة من الحقبة النازية، والبعض اعتقد أنها حديثة مُورست بإشراف عصابات في أمريكا اللاتينية، والبعض يشك في أنها أُجريت على فلسطينيين خاصة أن منظمات دولية تتحدّث عن جرائم قتل وتجارة أعضاء ارتكبها إسرائيليون ضد فلسطينيين!!

بعد مرور 5 سنوات تمكّنت خلالها في استحداث تقنية جديدة لتحديد جين "الضمير" الذي يحث على الفضيلة. ورغم الوحدة وكآبة

الغربة وجدت نفسها ذات يوم تبكي من فرط السعادة! لحظتها كانت توصلت لهدفها بشكل مُتكامل ونجحت في تحسين مستوى "الضمير" بعد تعديل الجين المسئول عن هذه الصفة وكان ذلك في مُخ مواطن أسترالي من أصل أوروبي. لكن فجأة.. صارحت نفسها قائلة: تحسينه ليفعل ماذا، ولا يفعل ماذا؟ وهل سيصبحون في هذه الحالة مُسيرين أم مُخيرين؟ .. إلى آخر ذلك.

وكانت الإجابة التي قفزت من رأسها، أن هناك قيمًا أخلاقية عالمية تتوافق مع الفطرة الإنسانية السليمة يُمكننا أن نتبناها جميعًا بغض النظر عن الدين والعرق والثقافة والسياسة.. ثم فكَّرت في إمكانية نقد هذا التحسين بعد ذلك، حتى لا يتحوّل الناس إلى روبوتات، ويتجمّد التطوّر الإنساني.

ومع نشر خبر نجاح تجربتها هذا، انهالت عليها العروض المغرية لكنها لملمت بقايا روحها وحلّقت نحو بلادها.. أرادت أن تبدأ بتحسين المستوى الأخلاقي في وطنها أولاً، ومنه تنطلق إلى أوطانها العربية الأخرى ثم العالم، وقرّرت أن يكون ذلك بالمجان وللجميع؛ ذلك لأنها رسالة إنسانية في المقام الأول.

وبمجرد عودتها رحَّبت بها مصر وعانقتها بقوة حانية إلا أنها فوجئت برفض بعض الناس وعدم مُوافقتهم على إجراء ذلك عليهم لأنهم

يشعرون برضا عن أنفسهم كما هي ولا داعي لإدخال أي تعديل وتحسين وما يتبعه من فضيلة وصدق وإخلاص وأمانة وغيرها من الصفات النبيلة!

لكن بعد رحلة تأملية ذهبتها مع ذاتها، أدركت أن لرفضهم هذا حكمة إلهية وهي أنه لابد وأن يستمر وجود النقيضين "الشر مع الخير" على وجه الأرض.

وتمر السنوات ويطل خلالها الخير بنسبة معقولة، وتنظر "صفاء" حولها، فتجد الحياة أصبحت أنقى والبشر أطهر. ويظل النقاء حاضرًا في رأسها مُتمثلاً في صديقة الطفولة التي غابت بعد أن مرّت كالنسيم في حياتها وتركت أثر الندى جليًا على أغصان ذاكرتها.

opelkandl.com

obeikandl.com

كلمة ختامية

الحياة أكبر من أن تكون غايتها الحب أو الزواج.. فكل إنسانٍ منّا يجب أن تكون له غاية نبيلة وهدفٌ عظيم يحيا لأجله كتحقيق مشروع يفيد مجتمع أو اختراع شيء يُفيد البشرية أو نشر الفكر والعلم بين الناس..

لكن الحبَ -على ما فيه من ألم- وحده القادر على أن يمنحنا السعادة، فالإنسان الذي يتجه وجهة الحب لا بد أن يصل إلى السعادة الحقيقية التي تسمو بإنسانيته وتُعطيه دافعًا للوصول إلى غايته النبيلة وهدفه العظيم في الحياة.

أسماء عاير

ايطاليا 2015

obeikandl.com

عن المؤلف

- أسماء عايد.. من مواليد مدينة السويس، دَرستْ في "الأزهر الشريف"، بداية من المرحلة الابتدائية وانتهاء بالثانوية.. ثم انتقلت إلى إيطاليا برفقة والديها لاستكمال دراستها، فالتحقت بكلية "الصيدلة" قسم الصيدلة الصناعية جامعة بارما، وتخصّصت في مجال النباتات الطبية بجامعة مودينا وريجو ايميليا، وفي عام 2011 التحقت بكلية "الإعلام" جامعة القاهرة، كما سجلت تمهيدي دراسات عليا في الطب التكميلي والعلاجات البديلة بجامعة سيينا في ايطاليا وتعمل حاليا في شركة نوفارتس السويسرية للأدوية.

- تم تكريمها من قبل "صالون هيروبولس الثقافي وموقع جود نيوز" في حفل اختيار شخصية العام 2013 بمحافظة السويس.

- عضوة بجمعية الكاتبات المصريات ونادي القصة.

- نُشر لها بثلاث لغات "العربية والإنجليزية والإيطالية" في العديد من الصحف والمجلات وكذلك المواقع الإلكترونية، وحاورتها بعض الصحف ووسائل الإعلام الإيطالية، وحاورت هي العديد من الشخصيات الأجنبية والمصرية من بينها المحاور الشهير مفيد فوزي، والدكتور فابيو فيرنسولي،

مدير مركز الطب التكاملي بجامعة فلورنسا الإيطالية ومؤسس قسم "العلاج بالنباتات" في مستشفى مدينة إمبولي بإقليم توسكانا.

- نُشر أول مقال لها في مارس 2008، وشهد لها بعض رموز الفكر والصحافة بأنها تتميز بامتلاك مهارة لغوية، وإنشاء فخيم، ومن بينهم الأديبة فتحية العسال، دكتور يوسف زيدان، الشاعر جمال بخيت، الشاعر فاروق جويدة، دكتور صبري حافظ (أستاذ الأدب العربي في جامعة ساوث في لندن).

- صدر أول عمل مطبوع لها في نهاية ديسمبر 2010 تحت عنوان "عَالمٌ واحد.. قلبٌ واحد" عن دار دوِّن للنشر والتوزيع بالتعاون مع موقع دار الكتب الإلكتروني.. أما العمل الثاني فصدر في مايو 2011 تحت عنوان: "ألوان من العبودية" عن دار كيان كورب للنشر والتوزيع.. وصدر لها "مُلامسة الجنة" في يناير 2012 عن دار دوِّن..وأخيرًا صدر لها باللغة الإيطالية "العلاج بالنباتات بين الماضي والحاضر والمستقبل" في نوفمبر 2012 ..وكتاب "مافيا الأعشاب - تجارة وتسويق الخُرَافَة" في يونيو 2013.

- في 2009 قامت بإعداد حلقة تليفزيونية عن "الهجرة غير الشرعية إلى إيطاليا" لاقت نجاحًا كبيرًا آنذاك، كانت بالتعاون مع مخرج برنامج "حديث المدينة" على التليفزيون المصري. ويُذكر أن الصحفية الإيطالية

"كيارا تشيكوتّا" كانت قد أفردت 4 صفحات لأسماء عايد باعتبارها نموذج للفتاة العربية الناجحة في الحياة الغربية وذلك ضمن صفحات أطروحة تقدَّمت بها "تشيكوتّا" مع بداية يوليو 2011 للحصول على درجة الماجستير من خلال منظمة "Sioi" الأوروبية التي مرَّ على تأسيسها 60 عامًا، ومقرها قصر البندقية في قلب العاصمة "روما" التي يرأسها السفير السابق "أومبرتو لا روكا" مُمثل إيطاليا الدائم لدى الأمم المتحدة في نيويورك، ونائبه البروفيسور جوفاني كونسو، الرئيس الفخري للمحكمة الدستورية الإيطالية. كما قامت لوتشانا بورساتّي الصحفية بوكالة الأنباء الإيطالية "أنسا" بتخصيص فصلٍ كاملٍ عن "عايد" ضمن كتابها عن التحوّلات السياسية في مصر والصادر في 2013.

obeikandl.com

obeikandl.com

الـفهـــرس

مـــدخل.....

الإهداء.....

الذين أوتوا الحب.....

جذور وأغضان.....

أبغض الحلال.....

منتصف العمر.....

في الطابق الثاني والستين.....

وَتَقَطَّعَت بهم الأسباب.....

الثمن يُدفع مُقدَّمًا.....

مِسك الليل.....

المقام الرفيع.....

روليـــت.....

للتصدير.....

أثر الندى.....

كلمة ختامية.....

عن المؤلف.....

الفهرس.....

obeikandi.com

obeikandl.com

"لا تسجن معرفتك و بادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخريين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب

"نحن نحترم الكتاب"

obeikandl.com

obeikandl.com

إصدارات موقع دار الكتب:

1. فيرجينيا سيكريت
2. ومضات من الماضي
3. حوار مع النفس
4. كارمن
5. ومضات من الماضي
6. رياح القبور
7. من أجل الدفئ
8. الفرنسين والشرق
9. اغتيال رفيق الحريري
10. البحر الميت وكفة برج الميزان
11. العمر لحظات
12. ومضات
13. آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.
14. قبل أن أموت.
15. فتاة شرقية.
16. كاتيا.
17. شمس.
18. التعلم النشط.

obeikandl.com

19. نبضات مغترب.
20. رأيت الشيطان.
21. حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى.
22. لوزة قطن.
23. حياة وحنين.
24. رحيق العمر.
25. عواطف.
26. الوهم.
27. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
28. تاريخ مصر الفرعونية.
29. ديوان البت سعاد.
30. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.
31. الموعد
32. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها
33. عائدون من بين الانقاض
34. -حذاء جديد
35. حلقات مفرغة
36. يوميات طبيب في وطن مسلوب

obeikandl.com

37. أصحاب الكرش
38. جئت ورحلت
39. سخصية مصر
40. ديور... ابن الحرب
41. رجل مدخر
42. ليلة فى الرنفة
43. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك
44. يوميات مع نفسى
45. سلسلة القائد المتوازن.
46. يوميات واحد فيس بوكاوى
47. نصف انسان
48. اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikandl.com